روايات عبير

٤٠٠

جانيت هامبتون

الأرملة ورجل الأعمال

www.elromancia.com

مرمورية

روايات عبير

NO:400

لم تكن "رو" في حاجة إلى أن يكون في حياتها رجل ، ولم ترغب في أن يكون لها كذلك . لقنها الماضي ما يمكن للحب أن يجلبه من المتاعب .

كانت سعيدة بما يكفي في تنمية مشروعها الصغير لإنتاج الأزهار المجففة وفي تعلم كيفية الاستمتاع بالحياة بمفردها . إلا أن "نيل ساكستون" بدا مصمما على أن يحطم جميع دفاعاتها .

أوضح "نيل" عدم استعداده لتقبل الرفض إجابة عن عرضه شراء أرضها ، وبأسلوب أو بآخر أحست "رو" أن ما يرمي إليه كان أبعد من العقار الذي تمتلكه ...

www.elmaktabeh.com

ثمن النسخة

لبنان	٢٠٠٠ ل	الكويت	٧٥٠ف	مصر	٣ ج
سوريا	٧٥ ل	الامارات	١٠ د	المغرب	١٠ د
الأردن	١ د	البحرين	١ د	ليبيا	١ د
العراق	٥٠	قطر	١٠ ر	تونس	١.٥ د
السعودي	٦ ر	مسقط	١ د	اليمن	٧٥ ر

CanadA	5$
U.K	1.5
France	15F.F
Greece	1200Drs.
CYPRUS	1.5 P.

مقدمة

رواية رومانسية شيقة تكاد تكون مستمدة من واقع حياته الكاتبة بعناية شديدة في محيط ريفي جذاب يعكس حب الكاتبة له ، ويتحرك فيه بطلا روايتها بين أحداث عادية سرعان ما تجمع بين قلبيهما .

شخصيات الرواية

- "رو لايفسي" : بطلة الرواية ، أرملة في العشرينات تحترف صناعة تجفيف الأزهار .

"نيل ساكستون" : رجل أعمال ثري ناجح استهوته حياة الريف بعد سني عمل مضنية .

" هنا فورد" : صديقة "رو" ، مصممة ديكور .

"توم فورد" : زوجها الموظف بأحد البنوك .

"ديفيد چنسين" : مقاول تعمد إرهاب "رو" كي يحملها على بيع أرضها له .

www.elromancia.com

الغلاف الأمامي

قال "نيل ساكستون" :

- "إنك فاقدة الزمن ." وجاءت نبرته ساخرة . " على الأقل فيما يتعلق بشخصي . فانا اعجب بفتاة شجاعة لانها تتيح مجالا اكبر للتحدي في الفراش وخارجه على حد سواء ... "

وأجابته "رو" من بين أسنانها ساخرة :

- "أراؤك الشخصية فيما يتعلق بجنسي لا تعنيني إطلاقا ".

فقال مؤكدا :

- لا . بوسعي أن أرى ذلك . ولسبب ما جعلها الأسلوب الجريء، الذي طافت به نظرته فوق جسدها من قمة رأسها حتى أخمصي قدميها الحافيتين ، ترغب في أن تختبئ عن عينيه . لاحت لها صورتها حية وهي بعد في الثامنة عشرة - جميلة مستهترة أظفارها مطلية وثيابها أفضل ما يكون .

قال :

- " جئت أسأل عما إذا كنت تحبين أن تتناولي العشاء معي " .

أمعنت "رو" النظر إليه في ذهول وهي لا تصدق ما تسمع ...

الفصل الأول

علمت "رو" أن زائرا ما كان بالباب قبل أن يرن جرس عتيق الطراز مدويا في الشرفة الأمامية الصغيرة ، فقد بدأ "هوارشيو" يدمدم من أعماق حلقه فور أن توقفت السيارة بالخارج.. ربما كانت "چين روسيل" قد حضرت لاستلام أزهار "الدلفينيون" التي كانت قد وعدتها بإعدادها ، لو كان الأمر كذلك فسيكون عليها أن تنتظر مدة نصف الساعة لانها حضرت مبكرة بينما "رو" لم تنته من حزم تلك الأزهار .

منذ خمس سنوات عندما بدأت لأول مرة زراعة الأزهار والاعشاب بهدف تجفيفها لم يكن لديها أدنى فكرة عن السرعة التي ستنمو بها صناعتها الصغيرة هذه ولا عن السعادة التي ستجلبها عليها ، لكن وقتئذ منذ خمس سنوات مضت لم تكن تعتقد انه من الممكن أن تهبها الحياة السعادة مرة أخرى . وكانت مخطئة مع ذلك . ربما لم تكن متعتها من ذلك النوع الذي تتوقعه امرأة شابة في منتصف العشرينات لانها لم تشمل أيا من الأشياء التي قد يعتبرها بقية العالم من ضروريات السعادة . فلم يكن - على سبيل المثال - في حياتها رجل لا عاشق ولا زوج يشاركها متع الحياة الضئيلة المتاحة وآلامها . لم

www.elromancia.com

يكن لها اطفال ولا أسرة من اي نوع باستثناء "هوراشيو" . ومع ذلك كانت قانعة بوحدتها - تفضلها بل وترحب بها للأمان الذي تكفله لها.

دق الناقوس مرة اخرى وبصبر نافد حزمت "رو" مجموعة اخرى من الأزهار الطويلة المجففة ثم أسرعت فوق الأرضية المكسوة بالبلاط الحجرى لسقيفة التجفيف لتغسل يديها في الحوض الحجري العتيق باحد أركانها .

كان بيتها - "كوخ الكرمة" - ذات يوم جزءا من ممتلكات أكبر منه بكثير حتى أن "كوخ الكرمة" هذا كان مخصصا لإقامة بستاني تلك "الضيعة" ، ولهذا السبب كان ملحقا به مجموعة منوعة من المباني الإضافية بما فيها سقيفة التجفيف الفسيحة إلى حد مناسب جدا بعروقها الخشبية الثقيلة عتيقة الطراز ، المناسبة جدا لتتدلى منها ازهارها وإلى جوار هذه السقيفة كان هناك حظيرة صغيرة من طابقين ذات علية مكسوة بالألواح الخشبية وجدران حجرية سميكة احتفظت بجفافها حتى في أكثر الأجواء إمطارا .

اتاح مدخل الباب بالطابق الأعلى - الذي كان يستعمل يوما ما بمساعدة رافعته الصغيرة لخزن علف الحيوانات لفصل الشتاء - أتاح هذا المدخل الرؤية حتى المنزل الكبير والتلال التي تليه ، كما كان مطلا على حقلها ذي الفدادين العشرة وقد بدا باقتراب نهاية الصيف كتلة مبهجة من صف بعد صف من الألوان الشيقة بتفتح ازهارها .

كانت قد بدات تقترب من الفترة الأكثر حرجا من ذلك العام المزدحم بالعمل . نهاية صيف جاف وخريف مبكر يعنيان ان بوسعها أن تقطف ازهارها في أوجها - بينما أن الطقس العاصف الممطر يعني القضاء على الأزهار الرقيقة ويعني كذلك ضياع مجهود موسم بأكمله .

عوى "هوراشيو" عند الباب عندما اتجهت إليه عنى وقد كان كلبا كبير الحجم غير معلوم السلالة على وجه التحديد . كانت "رو" قد عثرت عليه على قيد حوالي الكيلو متر إلى خارج القرية منذ ثلاث سنوات في فصل الشتاء ، ولم يمكنها الاهتداء إلى أصحابه حينذاك ، ومن ثم تبنته - أو تبناها بمعنى أصح - كما قالت لنفسها باسى عندما تبعها إلى داخل المنزل

بدا كوخ الكرمة بنوافذه الصغيرة المقسمة معتما رطبا بعد حرارة الشمس بالخارج . كبرت مساحة الكوخ على مر القرون حتى أصبح منزلا ذا مساحة مناسبة على الرغم من أن "رو" رأت أن حجراته العديدة المتصلة ببعضها تعرقل سرعة الحركة فيه .

كان المدخل الأمامي الصغير يزيد قليلا على كونه ممرا صغيرا لا ضوء نهار طبيعي فيه ، لذا أعمى ضوء الشمس الشديد "رو" لحظيا عندما فتحت الباب الأمامي وكان عليها أن ترمش مسرعة ، بينما كانت عيناها تتواءمان مع شدته ، قبل أن تتبين ان زائرها لم تكن تلك العميلة التي كانت تتوقع حضورها بل كان غريبا تماما... كان رجلا غريبا تماما .

التفت أصابعها تلقائيا حول طوق عنق "هوراشيو" لتجد راحة في فروه الناعم ، وفي قوة عضلاته من تحته . وكما لو كان "هوراشيو" قد استشعر فيها توترا فاطلق زمجرة تحذير عميقة من حلقه .

- "انسة "لايفسي" ؟"

قال هذا بصوت عميق جدا يتوقعه المرء من رجل في مثل طول قامته وعرض منكبيه - هذا ما لاحظته "رو" كما لاحظت في ذات الوقت أنه ليس من ذلك النوع من الرجال الذي اعتاد أن يترك لينتظر . لو صدق استنتاجها قياسا على نبرة نفاد الصبر التي اضفت على كلماته جفافا جعل منها غضبا حادا .

عندما أومات مؤكدة اتخذ خطوة نحو الأمام :

- هل يمكنني أن أتحدث معك ؟

على الرغم من أنه نظم كلماته في شكل سؤال ، لم يساور "رو" شك في أنه عنى بها جملة إخبارية تعبر عن قصد محدد . اضطرت إلى تتخذ خطوة إلى الخلف في ظلمة الرواق الضيق .

اضطر الرجل إلى أن يحني رأسه حتى يمر من تحت العتبة العليا للباب . كانت جميع مداخل أبواب الكوخ منخفضة . لم يضايقها ذلك إذ لم يتجاوز طول قامتها مائة وستين سنتيمترا، بينما كان من المؤكد سيسبب ضيقا شديدا لزائرها لو كان سيعيش في هذا الكوخ ، حيث بلغ طول قامته وفقا لتقديرها مائة وتسعين سنتيمترا .

www.elromancia.com

تذكرت "رو" لحظة مداخل أبواب المنزل الكبير ... الفسيحة الأنيقة التي قام "روبرت آدم" بتصميم العدد الأكبر منها ليساير الحجرات الفسيحة الأنيقة التي يفتح عليها . من المؤكد أنه من الصعب الاهتداء إلى بيئتين أكثر تباينا من "كوخ الكرمة" و"بارنهام كورت" لكن "رو" علمت جيدا أيهما تفضل .

بدا وكان لا بديل أمامها لأن تدعو زائرها غير المتوقع إلى حجرة الاستقبال الجميلة الواقعة إلى يمين الباب الخارجي . كانت واجهة "كوخ الكرمة" في مواجهة الجنوب لذا كان ضوء الشمس ينساب دافئا من خلال النوافذ المقسمة إلى الحجرة ذات الأثاث المريح . كانت "رو" قد قامت بعمل ديكورات هذه الحجرة بنفسها بأن صقلت العوارض الخشبية بالشمع ، ثم طلت حشواتها الجصية العتيقة بطلاء كلسي خاص مشوب بدرجات الأصفر الباهتة مما أضفى على الجص بريقا دافئا هادئا .

لقد تعلمت الكثير في السنوات الخمس التي عاشتها في "كوخ الكرمة" - هذا ما أدركته وهي تنظر بكآبة إلى أظفار يديها النظيفة وإن كانت قصيرة جدا . منذ خمس سنوات لم تكن تدرك أهمية طلاء حشوات الجص التقليدية بطلاء كلسي بدلا من استخدام الطلاء الحديث - ومنذ خمس سنوات لم تكن لتحلم أبدا بأن تقوم بمثل هذا العمل بنفسها .

حينما تبعها الزائر إلى داخل الحجرة المشمسة رأته ينظر إلى... التحف القيمة القليلة التي لديها باستحسان : خزانة الأدراج التي صقلتها باستخدام طلاء شمعي والمقعدان اللذان قامت بتنجيدهما بنفسها والمكتب الصغير .

وبينما كان الزائر يفحص دارها كانت هي تفحصه ... والآن وقد رأته بوضوح أدركت جو الرجولة الصارخة المنبعث منه وقد أثر على أعصابها .

هذا رجل اعتاد أن يسن لنفسه قوانينه في الحياة ... اعتاد إصدار الأوامر ، والحرص على أن تنفذ له . إنه رجل اعتاد أن يدفع جنس النساء ضريبة رجولته كاملة - هذا ما اعتقدته "رو" على الرغم من أن

نظرته التي طافت بجسدها النحيل تقيمه وتسجل رقة تكوينها العظمي ، ورشاقة قوامها قد خلت تماما مما يمت للجنس بصلة أيا كانت . كان شعرها الأشقر مثبتا إلى الخلف على هيئة ذيل الفرس ، حتى لا يعوق حركة عملها ، بينما خلت بشرتها من مستحضرات التجميل .

منذ ست سنوات لم تكن تسمح لأي رجل بأن يراها إلا في كامل زينتها ، وأفضل هندامها . من الغريب أن تتذكر مقدار ما كان مخزونا لديها من تلك المستحضرات . أما هذه الأيام ... هذه الأيام لم تلتق إلا بعدد قليل جدا من الرجال ، وفي كل مرة تلتقي بهم كانت تسعد عندما تتخلص من حضورهم فقد كانوا يدفعونها إلى الشعور بالتوتر ... بإحياء ذكريات تفضل أن تكبحها .

تبينت أن الرجل يرمقها بنظرات دون سبب يمكنها التفكير فيه ، فتوردت وجنتاها .

رأت اللهو يملأ عينيه الرماديتين ويملأ الغضب عينيه الخضراوين على الفور . وجدها مسلية إذن أليس كذلك ؟ لم تقدم له مقعدا بل سألته بنبرة جافة :

- " ماذا أستطيع أن أفعل من أجلك يا مستر ... "

فأجابها :

- "ساكستون" "نيل ساكستون" ، فهمت أن محامي قد اتصل بك "

وفي اللحظة التي ذكر اسمه فيها تذكرته . من المؤكد أن هذا الرجل لم يأت إليها لشراء الأزهار أو الأعشاب المجففة .. نظرة واحدة إلى الحلة الغالية رمادية اللون التي كان يرتديها تخبرها بذلك ، كان الخطاب قد وصل منذ ما يزيد على الأسبوعين ، واختزنته في مكتبها أملا في الرد عليه ، لكن لسبب أو لآخر لم تجد الوقت اللازم لذلك خلال الأيام المثقلة بالعمل التي تلت وصوله إليها .

سألته بنبرة جافة :

- "أأنت المالك الجديد لـ"فناء "بارنهام" ؟"

وكما لو كان قد وجد في إفادتها بما كان يعلم بالفعل مثارا للضيق ومضيعة للوقت قال باقتضاب :

www.elromancia.com

- " نعم . واضح انك قد تسلمت خطابي" .

- " تريد ان تشتري ارضي ، وهذا الكوخ ؟"

- " نعم . انا بحاجة إلى مكان تقيم فيه مديرة المنزل . يوجد مكان بالفناء ولكنني اقدس خصوصيتي . وسيكون هذا المكان مثاليا لها . كما ان ارضك كما تعلمين تمتد على أحد جانبي ممري الخصوصي . وانا على استعداد لعرض ثمن جيد " .

شعرت "رو" وهي تصغي إليه بان الغضب يتزايد بداخلها . هل يعتقد حقا ان بوسعه ان يدخل إلى بيتها ؟ متفوقا عليها برجولته وثرائه ليرغمها على بيعه إليه ؟ كانت منذ خمس سنوات تكاد تزحف إلى "كوخ الكرمة" مثل حيوان جريح يبحث عن ماوى ، ومثل حيوان مارس البيات الشتوي على مدى فصل الشتاء كاملا، لا تكاد تعي الرطوبة والتيارات الهوائية ... والبلاط الناقص بالسطح والافتقار إلى أسباب الراحة ... حالة الانهيار التي كان الكوخ عليها بعد ان ظل مهجورا ما يزيد على ثماني سنوات . وبعد ذلك وبحلول فصل الربيع بدات تستيقظ للحياة ذاتها . نظرت حولها إلى الاشياء التي كانت تحيط بها فرات في ضوء الشمس الشديد المبهر لأوائل أيام الربيع الغبار والخراب .

وإذ لم يتوفر لها المال اضطرت إلى أن تقوم بنفسها بالجزء الأكبر من العمل لإنقاذ الكوخ . وقد استغرقت عامين لتجعل منه البيت المريح الذي تراه اليوم ... عامين من الانتظام في مدرسة مسائية لتتعلم عديدا من الحرف ... عامين من العمل المضني حتى كادت تستغرق في النوم واقفة على قدميها ليلا .

والآن لم يصبح "كوخ الكرمة" منزلا لها فقط ... بل اصبح قطعة منها.

نظرت إلى "نيل ساكستون" بعينين غاضبتين كيف يجرؤ على الدخول إلى هنا بسهولة مفترضا انه بحكم ثرائه يحق له ان يفترض أن يجدها راضية عن بيع منزلها إليه فور انه يريد شراءه؟ فتحت فاها لتخبره بان مال العالم لا يشتري منها "كوخ الكرمة" لكنها تبينت انها ملومة إلى حد ما عما يجري . كان من الواجب أن ترسل ... إلى محاميها خطابا تخبره فيه بعدم رغبتها في بيع الكوخ ، والأرض

الملحقة به تحت أي ظرف كان .

قالت بلهجة رسمية :

- " إني آسفة . " ثم ادارت ظهرها نحوه حتى لا يرى ان اعتذارها لم يكن سوى خدعة مهذبة "كوخ الكرمة" ، ليس للبيع ، ولن يكن أبدا " ... "

- "علم" .

وتبينت من نبرته المقتضبة ودون ان تنظر إليه انها قد اغضبته .

- " حسنا يا آنسة "لايفسي" ... ارى ان من واجبي ان الفت النظر إلى انني رجل لا يقبل "لا" إجابة . لكل شيء ثمنه " وإزاء هذه الإضافة الساخرة التفتت "رو" نحوه تدحض ما قال ، ولكنها اجفلت تحت نظراته التي بدت وكانها تقول : "حتى منك" . وكبحت الأنفاس في حلقها في موجة عارمة من الالم والخوف .

كانت في وقت من الأوقات تعتبر إجابته إياها وثيقة الصلة بالموضوع ... لكنها تعلمت على مدى السنوات الخمس الماضية قيمة احترامها لذاتها وكبريائها واستقلالها ، واكثر من ذلك كله راحة بالها - وجميع هذه الامور من الاهمية لها بمكان حتى إنها لتفوق ثراء ملوك الأساطير - وجميعها متصل بـ"كوخ الكرمة" على نحو مباشر . فهو بالنسبة إليها الغطاء الآمن الواقي ... المقر .... المكان الخاص المتميز . تبينت بعد فوات الأوان انها بالسماح لهذا الرجل بغزوه قد سمحت له بان يحمل معه إليه قيما ومشاعر جعلتها ترتعد قليلا من الخوف .

احس "هوراشيو" بذلك وعاد إلى العواء وقد تسطحت اذناه فوق رأسه .

كان به قدر لا باس به من الجنس الالزاسي ، وعندما يكشر عن انيابه كما كان يفعل الآن ، كان يبدو غاية في الشراسة . ومع ذلك بدا "نيل ساكستون" غير خائف إطلاقا . فرفع إصبعه إلى الكلب واطلق صفيرا خافتا له ، فتحول نباح الكلب إلى انين ثم إلى بصبصة ودية جعلت "رو" تقف في مكانها وتتامل غير مصدقة .

التقت عيناها من فوق راس "هوراشيو" بعيني "نيل ساكستون" الرماديتين الفاترتين بغضب وذهول .

تحركت يدا الرجل التي كانت تداعب راس الكلب الناعم في الحال

وجذب التقطيب الحاجبين القاتمين كلا إلى الآخر بحدة . كان شعره قاتما كثيفا جميل التصفيف من النظافة حتى انكسرت أشعة الشمس فوقه .

عندما سار نحوها بدا وكان جو الحجرة يتحرك متكاسلا وقد عملت أشعة الشمس على تدفئته واشتمت "رو" لمحة عبير عطر رجالي وجه أفكارها إلى برودة اللافندر الممزوج بحدة باعشابها المحببة .

وقال الصوت الرجولي الفاتر بنبرة أقرب إلى السخرية :

- " لا داعي لأن تتوتر أعصابك . جئت إلى هنا أقدم عرضا مجزيا لشراء ممتلكاتك ، لا لأسرقها منك "

قال ذلك ساخرا ، وقد بدا الغضب يلوح في عينيه ، كما لو كان قد رأى أن فكرة دفاعها غير ضرورية ومضحكة على حد سواء .

امتد فتور كلماته إلى غضب وتدفقت الدماء إلى وجهها لما تبينته من الحماقة التي بدت عليها .. لكن عندما نظرت إليه وقرأت ما بعينيه من سخرية تغلب الغضب فيها على سلامة الحس . قبضت على طوق "هوراشيو"

وصاحت بنبرة فظة :

- " لن أبيع هذا المنزل أبدا ... أبدا ! والآن أرجـــوك أن تمضي وشأنك...

لم ترافقه حتى الباب الخارجي ، بل بقيت حيث كانت حتى رأته سائرا عند نهاية الممر الأمامي ، إلى خارج البوابة ، وإلى شارع القرية، حيث كانت سيارته تنتظر . رأتها بذهن شارد حين أخذ يقودها مبتعدا عن المكان "ديملر" صالون فاخر وبراق بلوحات أرقام معدنية جديدة .

لم تغادر مكانها حتى تأكدت من أنه قد مضى . كادت تتعثر في طريقها إلى الرواق وما إن بلغته حتى بدأت تقفل الباب الخارجي للكوخ بالمفتاح عتيق الطراز وكذا بالرتاج الذي عملت على أن تزود الباب به عندما انتقلت إلى الكوخ لتعيش فيه . كان من دواعي اضطرابها أن تبينت أنها ترتعد بشدة .

دق ناقوس الهاتف ، فالتقطت نفسا عميقا ألم صدرها وذهبت

لتجيبه . كانت المتحدثة "چين روسيل" تعتذر عن عدم الحضور وتسأل عما إذا كان من المناسب أن تحضر صباحا لتحمل الأزهار التي كانت قد طلبت تجهيزها .

أكدت "رو" لها ذلك ، وعادت لا إلى حجرة الاستقبال ، بل إلى الحجرة التي تقع على يسار الممر الضيق - المطبخ المستطيل الأصلي للكوخ ، الذي حولته الآن إلى حجرة مكتب وجلوس زودتها بمقعدين مجنحين كبيرين ، عتيقي الطراز ، وضعتهما على جانبي المدفأة ، وبالمكتب الضخم العتيق الذي كان لجدها وقد بدا في غير موضعه المناسب بحجرة الجلوس المتواضعة بالكوخ ، إلا أنه لم يكن بوسعها أن تقنع نفسها بفراقه . أما ما كان أصلا من مبان ملحقة بالكوخ الأصلي فقد تحول إلى حجرة مائدة جميلة ومطبخ. أما الطابق العلوي للكوخ فقد اشتمل على ثلاث حجرات نوم فسيحة وحمام جميل . شعرت هنا بالراحة ... بما يفوق كل الراحة التي شعرت بها في أي وقت كان في...

صرفت الفكرة عن ذهنها مرتعدة قليلا ، وهي تتجه إلى المطبخ ، وتبدأ بإعداد بعض القهوة الطازجة . كم من الوقت سيمضي قبل أن يكتشف "نيل ساكستون" أن ... ؟ ارتعدت يدها وانهمر الماء البارد فوقها بينما بدأ الإناء يغلي .

كان قدنما إلى علمها أن "پارنهام كورت" قد بيع إلى آخرين . كاد آخر ملاكه ألا يقطنوه أبدا وتردد أنهم سيحيلونه إلى فندق ريفي ، لكن ذلك الحديث لم يسفر عن شيء وبيع القصر مرة أخرى.

رأى بعض أهالي المنطقة أنه منزل تعس . كانت هناك رواية شائعة عن أن هذا المنزل قد شيد أصلا في موقع أحد الأديرة وأنه قد استخدمت حجارة ذلك الدير ، في تشييد المنزل الأصلي على الطراز الثيودوري الذي اختفى الآن خلف الإضافات التي شيدت في القرن الثامن عشر على طراز عمارة الملك چورج . كما قيل : إن الرجل الذي شيد "پارنهام كورت" أصلا كان هو نفس الرجل المسؤول عن هدم الدير، ولهذا السبب لحقت اللعنة به وبالمنزل . ارتعدت "رو" مرة أخرى بينما كان "هوراشيو" يئن عند قدميها . كان يتبعها إلى كل مكان ذهبت إليه حتى أنه كان ينام عند فراشها إذا سمحت له بذلك على الرغم من أن له

www.elromancia.com

فراشا مريحا خاصا به فوق الأرضية خارج باب حجرة نومها مباشرة. اشعرها وجوده بالراحة والأمان ، ودرأ عنها الذكريات التي كانت تحوم حولها في ليالي الأرق .

لقد مضى "نيل ساكستون" لكن كم من الزمن يمضي قبل أن يعود ؟ على الرغم من انه لم يخبرها قولا ، كانت تعلم انه لم يكن ذلك الرجل الذي يتنازل عن شيء يريده ، وما يريده هو بيتها وأرضها .

كانت تعلم السبب في ذلك بالتأكيد . فقد كان هذا الكوخ يوما ما جزءا من ممتلكات "بارنهام" ثم ترك إلى البستاني ليقيم فيه مدى الحياة . ثم تعود ملكيته بعد ذلك إلى تلك الممتلكات مرة أخرى.

كان "بارنهام كورت" يقع على بعد حوالي ثلاثة كيلو مترات خارج قرية صغيرة اسمها "بارنهام ماجنا" . وكان الطريق إلى المنزل طويلا مستقيما اصطفت على احد جانبيه أشجار الليمون بشكل بديع ، بينما كان على الجانب الآخر منه وبشكل مفسد لتناسق الطريق أرضها . حقلها الذي امتدت حدوده إلى حافة الطريق الخاص بـ"بارنهام كورت" .

اصبح سياج الأشجار البرية الآن ، حيث لابد أن تكون أشجار الليمون ، وشوه كوخها الخط الرشيق الطويل للجدار المرتفع من الطوب الذي أحاط بـ"بارنهام كورت" . أي. نعم . كانت تعلم جيدا السبب في أن "نيل ساكستون" يريد بيتها . يريده كي يتمكن من هدمه.

لم يكن الشخص الأول الذي يتصل بها بهدف شراء بيتها في الصيف الماضي فقط كان هناك مقاول - رجل عصامي قوي - من مدينة مجاورة جاء بسيارته إلى القرية ورأى على الفور الإمكانات التي يتيحها بيتها وقطعة الأرض الملحقة به ، ومزية إطلاله على طريق رئيسي في منطقة ريفية صغيرة يتأكد قربه من المدينة فور الانتهاء من العمل في تمهيد الطريق السريع .

وقد اشتد غضبه عندما رفضت "رو" إجابته إلى طلبه . لسوء الحظ أن كان ذلك اليوم يوم السبت ، وإلا لكانت قد اتصلت بمحاميها تطلب

منه الكتابة إلى "نيل ساكستون" موضحا له انها لا تعتزم البيع . وكانت ستقبل ذلك قبل الآن . لولا شدة انشغالها. لكنه كان صيفا جيدا بالنسبة إليها ، وقد ازدحم حقلها الآن بالأزهار التي زرعتها كي تقطفها وتجففها . وفي ربيع هذا العام زرعت الربع الأخير من الأرض للمرة الأولى حيث استأجرت عددا من الصبية المقيمين بالقرية لمعاونتها في هذا العمل ، وفي السقيفة التي تعلو الحظيرة كان لديها طبقة فوق طبقة من تلك الأزهار الخاصة بموسم الربيع وبدء الصيف التي تم حصادها .

لم تعتبر نفسها أبدا في عداد أصحاب الأعمال على الرغم من أن ذلك ما أصبحته ، وإن كان على نطاق محدود . كانت قد مارست هواية تجفيف وتنسيق الأزهار من قبيل المتعة حتى سألتها إحدى صديقاتها عما إذا كان بوسعها أن تمدها ببعض مجموعاتها . وذاع صيت مهارتها حتى اقترحت عليها صديقة أخرى إحالة موهبتها إلى عمل يستغرق كامل ساعات الدوام .

ومما ساعد على ذلك افتتاح الفندق والنادي الجديدين على بعد مالايزيد على حوالي خمسة عشر كيلو مترا من كوخها . وجاء الشابان المسؤولان عن إدارة هاتين المنشاتين يطلبان مجموعات من الأزهار المجففة للفندق . وما إن رايا بستان الأعشاب المختفي خلف الجدار في الجزء الأخير من ممتلكاتها حتى رجواها أن تبيع لهما بعضا من الأعشاب النضرة . ونما هذا الجانب من أعمالها على حد سواء حتى انها اصبحت الآن تمد عددا كبيرا آخر من المطاعم المحلية بما يلزمها من هاتين السلعتين .

هيات لنفسها على وجه العموم حياة مرضية إلى حد بعيد على الرغم من أن صديقاتها كن ينعين عليها خلوها من رجل .

من المؤكد انهن جميعا كن يعلمن كل شيء عن الماضي ، لأنه من المستحيل عليها أن تحتفظ بسر ما في مثل هذه القرية الصغيرة حتى لو أرادت واحترم الجميع إعراضها عن الحديث عما قد حدث. اعتقدت

www.elromancia.com

أن أكثر صديقاتها ميلا إلى الرومانسية فسرن صمتها على أنه راجع إلى الحزن .

الحزن ... لو أنهن علمن فقط ...

كان على "رو" أن تغتنم طول الأمسيات الصيفية ما أمكنها ، فكانت الساعة قد جاوزت العاشرة عندما . أقرت - في إرهاقها- أنها قد كدحت بما يكفي .

نادت "هوراشيو" وبدأت تتجه نحو الحقل ، ففتحت الباب المؤدي إليه والمشيد بالجدار .

كان "هوراشيو" قد تعلم ألا يفعل أي شيء أكثر من أن يبقى بالممرات الضيقة التي تفصل بين صفوف شجيرات الأزهار حتى أنه عندما كانت سيدته تتوقف لفحص بعض الزهرات عن قرب أو تختبر عبق أريجها ، كان هو أيضا ينتظر علما منه بأنه ما إن تنتهي مهمة الفحص هذه حتى يسمح له بأن ينطلق فوق الرصيف الذي امتد خلف حقلها عائدا إلى القرية .

أقرت "رو" لنفسها بأن هذا كان أحد أمتع أوقات النهار حيث تتذوق خلاله ألوان عيدان أزهار الدلفينيون الطويلة وهي تتألق بفخامة في جو المساء .

والوقت الممتع الأخر من النهار كان الصباح الباكر عقب الفجر مباشرة ، عندما كان الندى لا يزال فوق العشب - إذ كانت تشعر وكان العالم بأسره قد أحبته على هذا النسق : نظيفا ... جديدا... غير مأهول بأحد سواها و"هوراشيو" .

عندما انتهت من عملية الفحص ، وبدأت تصعد المرقى المؤدي إلى الرصيف رأت على البعد الشكل الخارجي لـ"بارنهام كورت" . والأضواء تتألق عند النوافذ دليلا - لو كانت بحاجة إلى الدليل - على أن المالك الجديد لهذا المنزل بداخله .... ما الذي يفعله ؟ يقرأ في هدوء وعزلة في المكتبة ذات الجدران المغلفة بالألواح الخشبية الأنيقة ... يأكل في حجرة المائدة القرمزية شديدة الأناقة أم عساه يسترخي في الراحة

التي تكفلها حجرة الاستقبال القبلية ؟

آثار فضولها فيها مشاعر عدم الارتياح . لم تفكر قبل الآن في أي من شاغلي "بارنهام كورت" ... ربما لأنهم لم يأتوا قارعين بابها ، مفسدين هدوء جوها يطالبونها بحاجات لم ولن تجيبهم عنها ..

سلكت طريق عودتها إلى كوخها ، وقد زاد إجهادها . توجه "هوراشيو" الذي اعتاد الروتين المسائي لسيدته إلى المطبخ ينتظر أن تنتهي من إعداد المشروب المكون من اللبن الساخن الذي اعتادت أن تحمله معها إلى حجرة نومها ..

www.elromancia.com

الفصل الثاني

في التاسعة وعشر دقائق من صباح الاثنين كانت "رو" قد عادت لتوها من معاينة الحقل - وهو إجراء حرصت على القيام به بدقة مرتين يوميا في اثناء ذروة الصيف والأيام الأولى من الخريف تلك الايام بالغة الاهمية من العام بالنسبة إليها حينما يكون الإهمال مدة يومين فقط من الممكن أن يعني الفرق بين قطف أزهارها على افضل حال لها ، وان تتبين انها قد تأخرت أكثر مما ينبغي حتى أن البتلات الجميلة قد بدأت تتساقط - في هذه اللحظة دق ناقوس الهاتف . امسكت بالسماعة بإحدى يديها ، بينما ملأت بالأخرى قدحا من القهوة لنفسها .

فاجاها صوت محاميها على غير توقع . بدا مترددا أسفا ثم قال:

- " اتساءل عما إذا كان يمكنك المجيء لمقابلتي . هناك امر أو أمران اود الحديث معك بشانهما "

أجابته "رو" وقد ساورتها الريبة :

- " إذا كان الأمر يتعلق بعرض "نيل ساكستون" لشراء كوخي وارضي فمن الأفضل أن أخبرك الآن أن لا رغبة لي في ذلك "

فقال المحامي :

- " لا يمكننا مناقشة الأمر عبر الهاتف " وإذ استشعرت "رو" إصراره وعلى ضوء ما علمته عنه من شدة اهتمامه بمصالحها استسلمت لرأيه ووافقت كارهة على أن تقود سيارتها إلى بلدة السوق المحلي لمقابلته . اقترح عليها اصطحابها لتناول الغداء خارج المنزل لكن "رو" رفضت دعوته موضحة له انه لا يمكنها أن تمنحه اكثر من نصف الساعة من وقتها نظرا لكثرة مشغولياتها لم تخبره بانه كان يتعذر عليها أن تخصص له هذا القدر من الوقت ، لو لم تكن بحاجة إلى التوجه إلى السوق المحلي لشراء بعض المستلزمات ، لأن القرية على الرغم من جمالها ، لم يكن بها سوى محل واحد صغير ، مما اضطررت "رو" معه إلى التوجه إلى تلك البلدة مرة في كل شهر لمداركة احتياجاتها دفعة واحدة .

في الحادية عشرة تحملت "هوراشيو" إلى السيارة العتيقة التي كانت قد ابتاعتها منذ ثلاث سنوات ، عندما بدأ عملها يزدهر . كانت السيارة قديمة الطراز ، لكنها بحالة جيدة يعول عليها ، وبخاصة وان مؤخرها الفسيح اتسع لحمل حاجاتها على نحو مثالي.

استغرق قطع المسافة إلى البلدة حوالي نصف الساعة . تركت السيارة تنتظر في ميدان السوق الجميل الذي خلا في صباح الاثنين من ضجيج المرور الذي كان يضيق به أيام الأربعاء والسبت من كل أسبوع ، وهي أيام انعقاد السوق .

كان مكتب محاميها في بناء صغير على الطراز الإليزابيثي ، مقاما على قطعة أرض كانت أصلا جزءا من المجزر القديم . أما الآن فاصبح الشارع كله بقعة مرممة . والمحل الذي يدنو من مكتب المحامي مكتبة هائلة .

لم يزل ممكنا للمرء أن يمد يده من خلال نافذة العلية ، ويصافح اخر في وضع مماثل بمنزل على الجانب المقابل من الشارع ، لكن لم يكن تاريخ هذا البناء ما يشغل ذهن "رو" وهي تقرع الباب الخارجي لمكتب محاميها ، ثم تدخل قاعة الاستقبال الصغيرة .

كان "ديفيد وينتين" اصلا محامي والدها ، وكان كلاهما في ذات

www.elromancia.com

السن ، لو أن والدها قد ظل على قيد الحياة . وكعادتها في كل مرة تدعى إلى المكتب المزدحم الصغير تذكرت "رو" والدها على نحو غير محتمل . كان قد تزوج في سن متأخرة ، وولدت هي بعد ثمانية عشر شهرا من زواج والديها ..

توفيت والدتها بعد بضع ساعات من ولادتها ، ولهذا السبب وثقت الصلة بينها وبين والدها إلى الحد الذي لا تزال معه حتى الآن وبعد انقضاء ست سنوات على وفاته تفتقده .

- "رو" تجعد وجه محاميها في ابتسامة سرور ، بينما أزاح بعض الأوراق من فوق المقعد ، ونظفه معتذرا قبل أن يقدمه إليها..

- "عزيزتي . كم أنه جميل أن أراك" .

اخفت "رو" ابتسامة ضئيلة وهي تقبل المقعد ، تعجبت كيف يمكنه أن يكتسب من عمله هذا ما يكفي حياة كريمة . تراكمت مجموعات الأوراق المحزومة بأشرطة وردية اللون فوق كل سطح بحجرة المكتب الصغيرة ، وفغرت الملفات أفواهها في الأدراج عبر المفتوحة تماما بينما رقدت قطة رقطاء في دفء أشعة الشمس الآتية من خلال النافذة الصغيرة .

قال بصوت أشبه باللهاث ، بينما كانت "رو" تجلس :

- "حضر "نيل ساكستون" لمقابلتي في الصباح الباكر اليوم. في الواقع انني عندما حضرت في الثامنة والنصف وجدته هنا ينتظر وصولي .

فور أن ذكر اسم "نيل ساكستون" توتر وجه "رو" .

وقالت بحزم :

- "لا جدوى من الحديث في الموضوع . لا شيء بوسعك أن تقوله لي، يجعلني أغير رأيي ، لن أبيع "كوخ الكرمة" ولا الأرض

وقال المحامي راجيا :

- "يا ابنتي العزيزة فكري في الأمر . أؤكد لك أنه على استعداد لأن يدفع ثمنا سخيا - سخيا جدا في الواقع . وبهذا المال ...

لكن "رو" قاطعته بغير اكتراث :

- "لدي من المال ما يزيد على مداركة احتياجاتي . أمتلك الكوخ

والأرض امتلاكا مطلقا . ولا ديون عليّ"

أجاب المحامي بحزم أدهشها قليلا :

- "ولا أصول لك .. "رو" فكري في الأمر : يجري عملك في الوقت الحالي على خير ما يرام ، ولكن ليس لديك من قبيل المدخرات إلا القليل. موسم رديء أو حادث من أي نوع ..."

فقاطعته قائلة :

- "لا حاجة بك إلى أن تنبهني إلى ذلك . لأن شيئا منه لن يحدث .

- "يا عزيزتي ، إنني مقدر ارتباطك بالكوخ وبالقرية . لكن من المؤكد أن هناك ممتلكات أخرى" .

فقالت "رو" مؤكدة بطاعة :

- "إنني واثقة بذلك ، لكنني اقترح أن تخبر "نيل ساكستون" بذلك لا أنا"

- "لكن من المؤكد أنك تقدرين لماذا يريد ممتلكاتك أنت"

فقالت مؤكدة :

- "بالتأكيد" ...

وأجاب المحامي :

- "على الأقل أنها كانت أصلا جزءا من هذه العزبة . أخبرني بقلقه من أنه إذا ألم بك أي شيء ، لأي سبب كان ، فمن الممكن أن يتم بيع الأرض بما عليها ، ولهذا السبب هو على استعداد لأن يقدم مثل هذا العرض السخي ."

ارتفع حاجبا "رو" دهشة وهي تصغي إلى عبارة المحامي غير الواثقة على ضوء حداثة سنها بالمقارنة به ، ثم نهضت وهي تقول بنبرة حازمة :

- "يمكنك أن تؤكد لـ مستر "ساكستون" أنني لا أعتزم بيع الأرض له ولا لأي شخص آخر ، إني آسفة . أعلم أنك مهتم بمستقبلي وأماني لكن "كوخ الكرمة" هو مستقبلي وهو أماني . رفضت أن أبيعه لذلك المقاول في العام الماضي ، والآن أرفض بيعه إلى "نيل ساكستون" . إني آسفة ، إنه قد لا يستسيغ هذه المعلومة ، لكن عليه أن يقبلها كما هي عليه" .

www.elromancia.com

رأت ملامح عدم الرضا على وجه المحامي الذي تردد قليلا ، ثم قطب جبينه ، وقال بعصبية واضحة :

- " إنه رجل عنيد . طرح عليّ العديد من الأسئلة عنك .. وعن الأرض... "

فسألته "رو" مقطبة ، وقد احتدت نبرة صوتها :

- " وبماذا أخبرته ؟"

بدا المحامي أكثر تعاسة وانطلق تنهد خافت من فم "رو" الرقيق على الرغم منها . كان عليها أن تعلم أن رجلا مثل محاميها لا يضارع "نيل ساكستون" من أي وجه من الوجوه . فمما لا يدع مجالا للشك أنه لابد قد وقف الآن على قصة ماضيها المخجل ، والحماقة التي ارتكبتها . لكنها تساءلت في صمت وفيم يهم ذلك ؟ سوف يعتبرها حمقاء بالتأكيد لكن ما قيمة رأيه فيها ؟ لذا قالت بحزم :

- " حسنا . إذا عاود الاتصال بك فعليك أن تخبره بانني لن أبيع الأرض له ، ولا لأي إنسان غيره .

فقال المحامي محذرا :

- " لا أعتقد أنه سوف يستسلم بسهولة . ليس مثل هذا الرجل الذي انشأ شركة دولية تقدر بعدة ملايين من لا شيء تقريبا "...

ترددت "رو" قليلا إذ أن هذه المعلومة قد اجتذبت انتباهها على الرغم منها ثم سألت محاميها متأملة :

- ما نوع العمل الذي يمارسه ؟"

- " تتعامل شركته في تداول البيانات الخاصة بالكمبيوتر ، من الأنواع التي على درجة عالية من التخصص ".

أتى المحامي بيديه حركة غامضة ثم استطرد قائلا :

- " أعتقد أنها شركة ذات نفوذ عظيم ، وأنه قد كسب لنفسه ثروة طائلة من استثمار أفكاره المبتكرة هذه ".

أجابته "رو" بنبرة ساخرة مشوبة بالمرارة :

- " مليونير عصامي وبعد أن حقق هذه الثروة قرر أن يبتاع لنفسه قطعة من ميراث إنجلترا متمثلة في "بارنهام كورت".

رمقها المحامي بنظرة عطف ، كما لو كان قد استشعر الألم الكامن في

كلماته الساخرة ، ثم قال بنبرة حانية :

- " إني أسف يا عزيزتي وأقدر مدى الألم الذي يسببه هذا الموضوع لك "....

تجاهلت "رو" كلماته بصبر نافد ، وأجابته بنبرة حادة :

- " لا . لا . لا يسبب لي أي ألم على الإطلاق . لست واحدة ممن لا يستعملن الشيء ، ولا يدعون غيرهن يستعملنه ".

نظر المحامي إليها وظل ينتظر . علمت "رو" أنه كان في انتظار تفسير منها بشأن كراهيتها لـ"نيل ساكستون" . لسوء الحظ أنه لم يمكنها أن توافيه بمثل ذلك التفسير ، لأنه لم يمكنها أن تحلل حتى لنفسها الأسباب الحقيقية الكامنة وراء كراهيتها الغريزية للرجل . شيء واحد كانت واثقة به مع ذلك ألا وهو أنه مهما كانت ظروفها المالية فلن تبيع إليه "كوخ الكرمة" ولا الأرض الملحقة به .

ومع ذلك عندما خرجت إلى رطوبة الظلال بالشارع الضيق لم تحس بمشاعر الثقة المبنية على تأكيدها للمحامي أن لا رغبة لديها في الدخول في أية مفاوضات لبيع عقارها ، لكنها أحست بمشاعر عدم ارتياح عميق ، أن لا رغبة لها فيه . ذلك النوع من عدم الارتياح الذي ظل يخز ما تحت جلدها موترا أعصابها ، كما لو كانت تكاد تتوقع ظهور "نيل ساكستون" من العدم مطالبا إياها ببيع أرضها له .

وجدت "هوراشيو" ينتظرها بطول أناة في السيارة عندما عادت حاملة مشترياتها التي رتبتها بعناية قبل أن تستقل السيارة أكدت لنفسها وهي تقود سيارتها في طريق عودتها إلى المنزل أنها قد أضاعت بسبب "نيل ساكستون" وقتا أكثر مما كان ينبغي .

عادت إلى بيتها حيث حملت المشتريات إلى الداخل لتضعها في الأماكن المخصصة لها ، ثم اتجهت إلى الطابق العلوي لتستبدل بثيابها الزي المخصص للعمل ، والمكون من قميص تي شيرت من القطن وبنطلون من الجينز . لأن التنورة والقميص الأنيقين اللذين ارتدتهما في زيارتها للمحامي كانا ضمن الثياب المتعلقة بالفترة السابقة على وفاة والدها . نادرا ما كانت ترتدي مثل هذه الثياب الرسمية هذه الأيام ، وفي الواقع فإن أحد الأسباب الرئيسية لارتدائها

www.elromancia.com

إياها هو علمها بان محاميها المنتمي إلي الطابع القديم لم يكن ليشعر بالارتياح لارتداء إحدى عميلاته بنطلونا قديما غير انيق من الچينز مع قميص تي شيرت مشعث . ومع كل ذلك كانت هذه هي الثياب التي أصبحت تشعر بالراحة بداخلها .

لم يسمح وقتها إلا بتناول غداء سريع من السلطة قبل ان تخرج إلى الحقل ، ومعها المقص والسلة استعدادا لبدء قطف تلك الأزهار التي أصبحت في أوجها . كان العمل شاقا مجهدا خاصة والشمس تحرق عنقها وساعديها .

في الثالثة من بعد الظهر تبينت وهي تعتدل مجهدة انه كان من الواجب عليها أن تضع قبعة على راسها . فقد بدات تشعر بصداع ألح على صدغيها عندما رفعت يدا متسخة تدلك بشرتها الملتهبة . كان "هوراشيو" قد هجرهامنذ زمن طويل ليرقد في الظلال التي أتاحها السياج ، فكرت في مطبخها الرطب وفي مشروب عصير الليمون المحفوظ في الثلاجة هناك بتوق شديد. كانت موشكة أن تستسلم لرغبتها وتعود إلى المنزل ، كي تتناول بعضا منه عندما حياها صوت رجل مالوف لها تماما . راقبت في غضبها "نيل ساكستون" يتسلق المرقى الذي يفصل ارضه عن ارضها ، ويتجه إليها سالكا طريقه بحذر شديد بين أعواد أزهارها المرتفعة .

بدا - على نقيض منها - هادئا انيقا في بنطلون ابيض وقميص من القطن الأبيض مفتوح عند الرقبة . وبشرته كانت مثل بشرتها سمراء ، وإن كان اكثر سمرة منها ، عندما اتجه نحوها شعرت بخفقان خوف طفيف ينبض على نحو محموم بداخل جسدها ، وشعرت برغبة ملحة في أن تلقي بالسلة إلى الارض وتلوذ بالفرار.

لامت نفسها على تلك الحماقة ، وظلت حيث كانت غير مدركة ، كم كانت اللمحة الدفاعية المتوترة التي ارتسمت على وجهها واضحة للرجل الذي كان يقترب منها . كان قد علم الكثير عنها من المحامي وبدا ذلك واضحا في عينيه عندما اقترب منها ..

لعنت المحامي في صمت على سذاجته قبل أن تخاطبه بفتور :

- " إذا كنت قد جئت لتحاول إغرائي ببيع ارضي فانت تضيع وقتي"

وبدلا من أن يتجاوب مع التحدي الذي فاجاته به التفت بعيدا عنها وهو يلوح إلى حيث كانت أحواض الأعشاب يانعة في ظل الحديقة المسورة وأخذ يسالها مفكرا :

- " من يشتري هذه منك ؟"

وإذ أذهلها إلى الحد الذي جعلها تجيب استفساره قالت :

- " المطاعم وأحيانا بعض ملاحظي الحدائق الذين يرغبون في استزراعها ومحلات اغذية الصحة ، وحتى بعض من يطلبونها لاغراض دوائية "

- " تمزحين ... ؟

ضايقتها سخريته العابثة ، فاجابته بنبرة حادة :

- " لا .. لا امزح إطلاقا ، على الاقل طب الأعشاب كان موجودا قبل ما نطلق عليه العقاقير الحديثة بزمن بعيد ".

- " حسنا . نعم . لكن ليست لها ذات الفاعلية ".

ضايقتها ثقته بذاته ، فتاقت إلى أن تدمرها ، لذا جادلته بحزم:

- " بعضها يضارعها فاعلية ، مثال ذلك الإرغورث .

- " الإرغوث ... وما ذلك ؟

استحوذت على انتباهه الآن .

كان ينظر إليها على نحو مباشر عنيد ، كانت تعلم انه من الواجب أن يكون مخيفا ، ولكنه كان متحديا بدلا من ذلك لسبب غير معروف .

- " الإرغوث هو الفطر الذي يصيب "الجاودار" . وكان يستعمل ضمن أشياء أخرى لإجهاض الأجنة غير المرغوب فيها . لكن لسوء الحظ انه من الممكن أن تترتب عليه آثار جانبية سيئة . ففي حالة عدم توخي الحذر في استعماله يمكن أن تترتب عليه سلسلة من الأمراض تتراوح ما بين الغرغرينا والجنون ، رات تعبيرات وجهه وضحكت بصوت أجش .

" لا يزال يستخدم اليوم كقاعدة لعقاقير مرض الصداع النصفي . ويفضل الأطباء أن يوصوا باستعماله لمرضاهم من الذكور "جاءت هذه الإضافة الأخيرة بنبرة جافة.

- " واضح انك تعلمين عنه الكثير . "

www.elromancia.com

هزت كتفيها دون ما تفكير قائلة :

- " كانت هذه هواية والدي . وقد نشات معها كما يقولون "

فقال مؤكدا بكبرياء :

- " نعم . اعتقد انه بوسعي ان اتفهم السبب في ان رجلا أساس ثروته ... العقاقير الحديثة ، يمكن ان يكون له اهتمام بطب الأعشاب .

توترت "رو" على الفور فقد خدعها - وهي التي سمحت له بذلك. كم انها بلهاء . حملهاحماسها لأحد الموضوعات المحببة إليها على أن تكشف نفسها وتسلمه ذات الرافعة التي يريدها ليتطفل من خلالها على أكثر أمورها خصوصية - ولن يتردد لحظة في استخدامها - أمكنها ان ترى ذلك في عينيه عندما نظر إليها .

قال ولايزال يراقبها :

- " كان محاميك يحدثني صباح اليوم عن والدك " ولما لم تحول بصرها عنه ، او تعلق بشيء سالها : " ماذا حدث ؟"

فاجاها سؤاله غير المتوقع ، فسالت في تردد غير واثقة بانها قد فهمت المعنى الذي انطوى عليه استفهامه :

- " لماذا ؟"

أجابها بصوت أجش :

- " للثروة التي خلفها والدك لك ؟ توفي منذ ست سنوات مليونيرا كما يبدو ، ومع ذلك انت الابنة الوحيدة له تعيشين الآن هنا في هذا الكوخ ، بدلا من "بارنهام كورت" الذي خلفه لك ، وواضح انك تكسبين عيشك وهو بالوضع الغريب الذي لا أشك في انك تنكرينه "

أجابته "رو" بصوت مختنق وهي لا تكاد تصدق انها لم تخطئ سمع ما قال :

- " ربما بالنسبة إليك "

كانت وقاحته بحق لا تحتمل . فتحت فاها لتقول له ذلك ، ثم ولدهشتها سمعت نفسها تقول :

- " إذا كان لك ان تعلم حقا ، قامر زوجي بالثروة وسمحت له بذلك"

واجهته بكبرياء في انتظار ان ترى الشفقة والازدراء يلوحان في عينيه . لكن أيا كانت المشاعر التي أثارتها كلماتها فيه لم يكشف عن

اي منها وهو يقول بفتور :

- " لابد انك تبغضينه لهذا السبب " ...

- " لا في الواقع . ورغم انك قد ترى في الأمر غرابة انا أسعد حالا بكثير الآن ، عما كنت عليه ، عندما كنت وريثة ابي . كنت طفلة مدللة متعجرفة . يمكنك حتى ان تحكم بانني قد استحققت كل ما الم بي . فعلى سبيل المثال لا يمكن لي الآن ان اعجب برجل مثل چوليان باي حال من الأحوال . ومن المؤكد انني ليس الآن من الحماقة بحيث اصدق انه قادر على ان يحبني ..

سالها "نيل ساكستون" بهدوء :

- " هو ام اي رجل ؟"

انعكس ذهول هذا السؤال على تعبيرات وجهها واتسعت عيناها وتغير لونهما . كيف عرف ذلك ؟ كيف علم بالفولاذ الذي عرف طريقه إلى قلبها عندما علمت حقيقة "چوليان" ؟ كيف علم انها قد اقسمت على الا تسمح لأي رجل أن يخدعها مرة اخرى بان يجعلها تصدق انه يحبها ؟

بذلت جهدا كبيرا لاستعادة سيطرتها على ذاتها وهي تهز كتفيها وتقول باقصى ما امكنها من الفتور :

- " حقيقة . لا احمل تقديرا كبيرا لجنسك ".

فقال "نيل ساكستون" برقة وعلى نحو لا يغتفر :

- " أو لنفسك ".

ادارت له ظهرها في هذه اللحظة ، وامسكت سلتها بإحكام حتى تحول دون ارتعاد يدها . قالت له بنبرة خلت من كل المشاعر:

- " انت على ارضي يا مستر "ساكستون" ، واكون شاكرة لو انك حملت نفسك بعيدا عنها في الحال "

فقال من قبيل الحوار متجاهلا الأمر الذي اصدرته إليه :

- " تعلمين اني أجدك جديرة بالاهتمام . لابد ان إقامة كل هذا..."

لوح بيده فوق ذلك النهر المتدفق بالالوان الذي احاط بهما " . ومن العدم قد تطلب شجاعة وصبرا . ان تتحولي من ابنة تعتمد على والدها إلى صاحبة عمل مستقلة ".

www.elromancia.com

وابتسمت "رو" دون ما مرح :

- " والرجال لا يحبون النساء المتصفات بالشجاعة وبخاصة من يحققن نجاحا من بينهن - هل هذا ما تحاول أن تقوله لي ؟"

لدهشتها انه انفجر ضاحكا يقذف برأسه إلى الخلف ليكشف عن خط حنجرته القوي . ثم قال لها متعجبا :

- " هل هذا ما تظنينه ؟ هل ذلك هو السبب في كل هذا ؟ "

مد يده ولمس شعرها المشدود إلى الخلف بإحكام ، ثم وجهها الخالي من مستحضرات التجميل . كانت أقصر اللمسات إيجازا لم ترد على ملامسة العضلات القوية لنعومة بشرتها وكانت مع ذلك كافية لأن تجعلها تقفز إلى الخلف مبتعدة عنه كما لو كانت قد أحرقت والغضب والأسى يجاهدان في عينيها استبقاء للكبرياء.

قال ساخرا :

- " إنك فاقدة الزمن . على الأقل فيما يتعلق بشخصي . فانا أعجب بفتاة شجاعة لأنها تتيح مجالا أكبر للتحدي - في الفراش وخارجه على حد سواء " فاجابته متألمة بعد أن أفاقت من ذهولها إزاء تعليقه الجريء :

- "أراؤك الشخصية فيما يتعلق بجنسي لا تعنيني إطلاقا "

واجابها مؤكدا :

- " لا يوسعني أن أرى ذلك " . ولسبب ما جعلها الأسلوب الوقح الذي طافت به نظرته فوق جسدها من قمة رأسها حتى أخمصي قدميها الحافيتين ترغب في أن تلتف حول نفسها وتعدو بعيدا عنه لتختبئ . لاحت لها صورتها حية وهي بعد في الثامنة عشرة - جميلة مستهترة شعرها الأشقر منسدل فوق كتفيها وأظفارها طويلة مطلية ، وملابسها أفضل ما جادت به "نايتسبريدج" ، ورأسها خال من اية أفكار لا تتعلق باللهو والاستمتاع بالحياة .

لم يكن بوسعها أن تلوم والدها علي سذاجتها فقد أحبها ودللها إلى أقصى الحدود ، ولكنه كان من التقدم في العمر بحيث لم يتفهم الشراك التي كانت تتربص بمثل هذه الفتاة الجميلة الصغيرة عديمة الخبرة بالحياة .

كان لها عدد قليل من الأصدقاء والصديقات في مثل عمرها ، ولم تكن لها أقارب من الإناث إطلاقا . واقع الأمر أن لم يكن لها أقرباء من أي نوع باستثناء والدها . كانت قد تلقت تعليمها بالمنزل وعلى الرغم من أن والدها قد اصطحبها معه إلى جميع أنحاء العالم ، وأغدق عليها بالجواهر ، وجميل الثياب لم تكن لها خبرة حقيقية بالحياة . وكانت وفاته وهي بعد في التاسعة عشرة صدمة عنيفة لها ، رغم أنه يبدو أن الأطباء كانوا يحذرونه منذ سنوات طويلة سابقة من أنه كان يرهق نفسه أكثر مما ينبغي ..

كانت ابنته الوحيدة ، ووريثته الوحيدة . وإذ كان عالما أكثر منه رجل أعمال لم يفكر قط في أن يقيد ميراثها على نحو يقيها إلى حد ما، حتى أنه عندما تقدم "چوليان" ليرتبط بها ....

- " جئت أسالك عما إذا كنت تحبين أن تتناولي العشاء معي "

أذهلتها الدعوة إلى حد توقفت معه أفكارها . دققت النظر إليه غير مصدقة ما تسمع .

- " العشاء ؟ معك ؟".

وضمت فمها بشدة . لم تعد تلك الفتاة المثالية ذات التسعة عشر ربيعا بل أصبحت تعلم تمام العلم الآن أن الرجال عندما يمعنون في الإطراء والحديث عن الحب فإنهم يستخدمون كلماتهم ليقنعوا بها رغبات واحتياجات أخرى . فالرجال سابقون على جنسها في الزمان ويستخدمون النساء في تحقيق أهدافهم وطموحهم "العشاء ؟" ثم سالته بنبرة حادة " هل جننت ؟ . سبق أن قلت لك : إنك تضيع وقتك ، لانني لا أعتزم أن أبيع منزلي"..

فقال مستمتعا بالاضطراب الذي لاح في عينيها قبل أن تحل الريبة محله :

- " آه . لم أدعك إلى العشاء بصفتي مشتريا محتملا لعقارك . لا . إنها خبرتك في فن الديكورات ما يهمني في الوقت الحالي . ولا تظني أنني قد فقدت الأمل في الحصول على أرضك ، مع ذلك. يمكنني أن أصبح شديد الإصرار ، إذا ما رغبت في شيء ."

فاجابته بنبرة جافة :

- " إني واثقة بذلك .

ضحك غير متأثر إطلاقا بفتور نبرة صوتها .

- " ستاتي والدتي للإقامة معي في غضون بضعة اسابيع . ابتعت المنزل على ما هو عليه ، إلا أن بعض حجراته تبدو بغيضة بعض الشيء . أعتقد أن بعض الأزهار المجففة قد تضفي عليها لمسة ترحيب ، لذا أردت أن ألجا إلى خبرتك الاحترافية ونصحك ."

نظرت "رو" إليه غير واثقة بما إذا كانت تصدقه أم لا ، وأضاف بغير اكتراث :

- " بالتاكيد انني ساقدر لك عدم رغبتك في المجيء إلى المنزل. أرى أن دخولك إلى هناك قد يسبب لك آلاما عظيمة . "

ما اقترحه من انها قد تشعر بالغيرة ، أو ان ترفض ولو لحظة واحدة فكرة أن أصبح يشغل منزلها القديم حفز "رو" على إجابة دفاعية فورية . لذا قالت مسرعة :

- " إطلاقا . لا أعتقد أن لدي ما يحول دون إجابة دعوتك هذا المساء . لو أخبرتني بالموعد الذي ترغب في أن امر عليك فيه ، لكن لن تكون هناك حاجة بك إلى أن تقدم لي عشاء " .

فقال مقاطعا :

- " سيكون ذلك من دواعي سروري . أفضل جدا أن أطهو من أجل شخص آخر غيري . إنه بالأمر المجزي . ألا ترين ذلك ؟"

وقبل أن تتمكن "رو" من إخفاء دهشتها إزاء أن مثل هذا الرجل صارخ الذكورة يقر بأن بإمكانه أن يطهو وجباته . التفت ينظر إليها ، وقد اتقدت عيناه الزرقاوان إعجابا :

- " في الواقع انني أرحب ببعض شتلات الأعشاب فور أن أعيد حديقة المطبخ إلى حالة معقولة ، لأنها قد تدهورت تماما . "

وأجابت "رو" بذهن شارد :

- " نعم . الملاك السابقون للمنزل ، لم يأتوا إلا نادرا لذا أهمل المنزل إلى حد كبير "

أرادت أن تعلم لماذا اختار هذا الرجل الذي بدا أنه عزب أن يبتاع لنفسه مثل هذا المنزل الكبير ، وبدافع لم تستطع تحليله تماما وجدت

نفسها تسأله مسرعة :

- " هل تعيش بمفردك ؟ أم ...؟"

فأكمل لها العبارة بنبرة جافة مما دفع وجهها إلى التورد إحراجا وضيقا :

- " أم أنني متزوج أو مرتبط ؟ لا هذا ولا ذاك . مثلي في ذلك مثل الكثيرين من رجال الأعمال الناجحين . لم يتوفر لي الوقت أبدا لإرساء علاقات راسخة ، وهذا هو السبب في أنني أجد نفسي الآن في منتصف الثلاثينات ، وأكاد أكون معزولا عن أقراني. وأينما نظرت في هذه الأيام لا أرى سوى رجال سعداء بزواجهم مع زوجاتهم وأسرهم " .

فأجابته "رو" ساخرة :

- " زوجة وأسرة ليس من الصعب الحصول عليهما بالنسبة لرجل في مثل ثرائك " .

فأجاب :

- " هذا متوقف" ودون أن ينتظر منها استفهاما أضاف . " على مدى ارتفاع مستويات المرء" .

ثم قال بنبرة عادية " ومستوياتي مرتفعة جدا . " ورأت "رو" بحرارة أن هذا يعني أنه إذا قدر له أن يتزوج فسيكون ذلك من فتاة جميلة سليلة أسرة عريقة يكون حسنها المتمم الأمثل لنجاحه وإنجازاته .

قال معلنا :

- " سأمر عليك في الثامنة . وبوسعنا أن نتناول عشاءنا في الثامنة والنصف ، حيث نتحدث على العشاء عن أنواع التجهيزات الزهرية التي يمكنك توفيرها ، لتخفف حدة جو المنزل وصرامته " .

فأجابته "رو" بنبرة حادة :

- " لا داعي لأن تمر لتأخذني في سيارتك . يا إلهي المسافة إلى هناك لا تزيد على الكيلو متر أو نحو ذلك هذا فضلا عن أن لي وسيلة انتقالي " .

وأجابها بصوت محذر من أنه على غير استعداد لأن يصغي إلى مزيد من الجدال :

- " سأمر بك " .

www.elromancia.com

ظلت "رو" بعد أن مضى حيث كانت في وسط الحقل ، مصابة بمثل دوار تتساءل : ما ذاك الجنون الذي أصابها حتى تسمح له بأن يقنعها بأن تتناول العشاء معه ، فاخر ما كانت ترغب فيه قضاء الوقت بصحبته

لم تحبه . لأنها صممت منذ وفاة "چوليان" على أن تجتنب صحبة الرجال ، وأولئك الرجال من أمثال "نيل ساكستون" على وجه الخصوص ، إذ ينبعث منهم شذا ذكورة مميز ، كان التفتح الأنثوي الجميل الذي ميزها في وقت ما قد اختفى . لم تكن جميلة بالمعنى المقبول للكلمة ، ولم ترغب في أن تكون كذلك .

لم تصبح لها رغبة في اجتذاب إعجاب الرجال ، ولم تكن بالقطع من الحماقة بحيث تتصور أن "نيل ساكستون" يرغب في صحبتها ، لأنه تعرف فيها على الجاذبية الأنثوية . في يوم ما منذ زمن بعيد كانت من الحماقة ، حتى اعتقدت بأن أحد الرجال أحبها . وقد دفعت ثمن هذه الحماقة غاليا ، وكان ذلك خطأ لن تعود إليه .

عندما انكبت تنجز عملها أكدت لنفسها أنه من الغباء أن تضيع الوقت في التفكير في "نيل ساكستون" لو كان لها مخرج للتخلص من موعدهما لذلك العشاء لما ترددت في أن تفعل ذلك ، ولكنها أيقنت من أنه لن يتورع عن الحضور إلى الكوخ وجذبها إلى خارجه إذا ما رأى ضرورة لأن يفعل ذلك .

لا . سوف تتناول العشاء معه الليلة على أن توضح له فيما بعد أنها لا ترغب في أية اتصالات أخرى به ، أيا كان نوعها .

شعرت في الخامسة وكان ظهرها يكسر إلى جزأين ، قامت بآخر رحلاتها إلى حظيرة التجفيف لتفرغ سلتها ، فقد كان حصاد ذلك اليوم وفيرا .

كان أمامها الآن بضع ساعات من العمل في تجهيز الأزهار للتجفيف. فقد اهتدت على مدى السنوات من خلال المحاولة والخطأ إلى عدة طرق مختلفة لتجفيف الأزهار وفقا لمختلف الأغراض المطلوبة من أجلها . كان من الممكن تجفيف بعضها في مجموعات تتدلى من دعائم السقف ، بينما كان بعض آخر منها في حاجة إلى أشكال أكثر رقة . نجحت في

الحصول عليها بأن وضعتها على مسافات متباعدة فوق شباك خفيفة علقت كلا منها بين دعامتين من دعائم السقف .. وبعض ثالث تطلب التجفيف في دفء وظلام الحجرة سابقة التدفئة واستخدمت لهذا الغرض الجزء السفلي من الحظيرة القديمة ، حيث أغلقت مصراعي النافذة الثقيلين ، لتمنع تسرب ضوء النهار إلى داخل الحجرة . بعض الأزهار كانت تتركها على حالتها الطبيعية ، بينما صبغت بعضا آخر بظلال أكثر حيوية ، كان الإقبال عليها متزايدا خاصة بين عملائها الأكثر تحضرا .

حقيقة الأمر أنها كانت ستكرس كل دقيقة من وقتها هذا المساء للعمل ، لذلك وفي غضبها من نفسها لضياع ساعات قيمة مع رجل كانت واثقة بأنه من الواجب عليها أن تبذل كل ما في وسعها كي تجتنبه سلكت "رو" طريق عودتها إلى الكوخ .

كان ربع السنة المالية قد أوشك أن ينتهي وسرعان ما سوف يحين وقت مراجعتها لسجلاتها وإعداد الكشوف للمحاسب ومسؤولي الضرائب .

كان عملها بالسجلات أسوأ ما في حياتها ، فكانت تخشى اليومين أو الثلاثة التي كانت تقضيها في مكتبها في الإعداد لكل ميزانية ربع سنوية ، تفحص وتراجع كلا من أعمدة الأرقام الدقيقة التي كانت تسجلها بكل عناية .

اقشعر ذهنها وهي تسكب لنفسها بعض مشروب عصير الليمون إزاء مخاوفها من تلك الأعمال ربع السنوية الشاقة . لم يكن لذلك أية علاقة بمقدرتها على التعامل مع تلك الأعمدة الطويلة من الأرقام ، لكن كان مرجعه إلى الماضي . فقد عمل "چوليان" لدى محاسبي والدها ، وأتى لزيارتها بعد شهرين من وفاة والدها . بدا مواسيا ظريفا على استعداد لأن يقضي الوقت معها ، يصغي إليها ، بينما كانت هي تعاني الوحدة والحرمان في تلك الأشهر الأولى بعد وفاة والدها كانت مشغوفة لأن يكون لها من تركن إليه .

كان يكبرها بمقدار عشر سنوات ، كما كان محنكا يعلم على وجه التحديد سبيله إلى تملقها وإثارتها ، حتى أنه بحلول اللحظة التي

www.elromancia.com

عرض عليها الزواج فيها ، كادت تكون متيمة بحبها له ، أو كانت على الأقل تعتقد ذلك .

لم يستغرق الأمر أكثر من ليلة قاسية من الزواج ، حتى تظهر لها حقيقة "چوليان" ذلك الرجل الكائن خلف القناع الذي ارتداه كي يغازلها لم يكن لديه أي اهتمام بها ، ولم يرغب إلا في ثروة والدها ، وكما اعتادت في كل مرة هددت ذكريات الماضي بالتسرب إلى حاضرها ، جاهدت كي تقمع تلك الذكرى ، وتدفعها بعيدا عنها ، لذا سعدت لسماع ناقوس الهاتف الذي ساعدها الآن على تجاهل تلك الذكريات .

كان المتحدث أحد محلات المدينة الكبري التي كانت تزودها باحتياجاتها من هذه السلعة ، يسأل عما إذا كان يمكنها أن تزوده بقدر إضافي . لم تتطلب مراجعة دفتر المخزون وقتا طويلا ، ولحسن الحظ أنها تبينت توفر كمية كبيرة من النوعية المطلوبة مجففة ومعدة للتسليم .

ونظرا لشدة انشغالها أخبرتهم ، بأن عليهم أن يوفدوا مندوبا لتسلم الطلبية . وفور إعادة السماعة إلى موضعها كانت قد أعادت الماضي بحزم إلى حيث ينتمي - بعيدا عن ذهنها ..

الفصل الثالث

ظلت "رو" تعمل حتى الساعة السابعة ، رافضة أن تسمح لنفسها بفترة الراحة المعتادة ، عقابا لها على حماقتها في أن تستدرج لتناول العشاء مع "نيل ساكستون" . كانت الساعة تشير إلى ما بعد السابعة بقليل ، عندما عادت إلى المنزل . لم تكن حجرة نومها أكبر حجرات الطابق العلوي ، لكنها كانت - وفقا لرأيها - تطل على أجمل المناظر . فمن النافذة الناتئة الصغيرة ترى الحقول ، ومن خلفها تلال الريف المكللة بمراعي الأغنام . وكان ذلك منظرا لم تمله أو تسأمه أبدا . وبينما وقفت بجوار النافذة تتنفس رطوبة هواء الأمسية النقية ، أخذت تتأمل مدى حسن حظها في أن القدر قد تدخل في الوقت المناسب، ليسمح لها بالإبقاء على هذا الكوخ والأرض الملحقة به من الدمار الذي لحق بتركة والدها .

ما لم تكن تعلمه عن "چوليان" وقت زواجها منه أنه لم يكن حبها فقط بل إنه كان مدمن لعب الميسر . تزوجها بمنتهى الواقعية إذ رأى في ثروتها الوسيلة الوحيدة لسداد الديون التي كان مثقلا بها ، نتيجة إدمانه الميسر . وما إن قام بسدادها حتى بدأ يقامر باستثمارات

www.elromancia.com

والدها ، وبكل ما كان لدى "رو" دون أن تعلم هي شيئا عن ذلك ..

أذهلها أن علمت بوفاته على الرغم من أنهما كانا يعيشان منفصلين مدة خمسة شهر من عدد أشهر زواجهما الستة . لم تجد في قيادة امرأة أخرى السيارة التي لقيا فيها مصرعهما ما يثير دهشتها فقد أوضح لها بجلاء بعد تلك الليلة الوحيدة من شهر عسلهما كم أنه وجدها غير مناسبة كامرأة ، ولم يراودها أدنى شك في اعتزامه إحلالها في فراشه .

وإذ كانت محطمة وجريحة جسديا وعاطفيا على حد سواء بعد أن تحطمت أحلامها وآمالها كلية ، لم يسعها إلا أن تشعر بالارتياح لأنها لن تضطر إلى مواجهة عدوانه الجسدي عليها مرة أخرى ... واكتشافها أن الأوراق التي كان قد طلب منها التوقيع عليها في الأيام السابقة على زواجهما ، لم تكن في واقع الأمر سوى التوكيل الرسمي الذي خوله حق التصرف بمفرده في ثروتها، لم يعن لها شيئا على الإطلاق حتى أوضح لها محاميها بمزيد القلق وعدم الارتياح أنها لن تصبح أرملة فحسب ، بل إنها قد أفلست تماما ، وأن منزلها "بارنهام كورت" كان واجب البيع لتغطية وسداد ديون زوجها الناجمة عن مقامراته . ثم وفي اللحظة الأخيرة عندما أوشكت أن توقع على مستندات نقل ملكية "بارنهام كورت" إلى الغير اكتشف محاميها إمكان أن تنقل إلى نفسها وباسمها الملكية المطلقة لـ"كوخ الكرمة" والأراضي الملحقة به من خلال ثغرة قانونية ترتبت على أن ذلك الكوخ والأراضي الملحقة به كان قد سبق التنازل عنها للبستاني في وقت من الأوقات .

كان الكوخ في بادئ الأمر مكانا للإقامة فقط مكانا للاختفاء ، لكنها تبينت تزايد ارتباطها به بتعاقب الأشهر وحبها له ، حتى أصبح الآن جزءا منها ، كما لم يكن "بارنهام كورت" أبدا كان والدها قد اشترى الـ"كورت" عند زواجه بوالدتها كهدية منه إلى زوجته الصغيرة الجديدة واحتفظ بذلك المنزل بعد وفاتها كبيت له ولابنته التي فقدت والدتها . كان يدير عمله من الـ"كورت" بل وأنشأ به معملا حتى يمكنه أن يستمتع بالأبحاث التي كانت أساسا لثروته .

استنفدت براءة الاختراع عن العقار الذي كان قد اكتشفه بعد وفاته

بوقت قصير حتى أن الأموال التي كانت ترد من هذا المصدر لم تصبح متاحة لـ"رو" ، لذا حل الفقر على تلك الفتاة ، لم تعرف من حياتها سوى اليسر الذي تتيحه الثروة الوفيرة كصدمة مذهلة . لكن كان للفقر درجات كما أقرت "رو" وكما أقرت أيضا أنه من الأيسر أن يكون المرء فقيرا في مكان ريفي من أن يكون كذلك بأحد الأبراج السكنية المتفردة بقلب المدينة .

تكشفت بداخلها قوة لم تتوقع أبدا وجودها ، وصاحب هذا الاكتشاف سلام ذهني من نوع خاص . لم يكن مترتبا على استطاعتها أن تغفر لنفسها حماقتها في أن تخدع في "چوليان" . أصبحت تلك الفتاة التي كانتها في وقت ما غريبة عليها الآن حتى كادت لا تصدق أنها وتلك الفتاة كانتا شخصا واحدا بعينه .

اغتسلت في الحمام الملحق بحجرة نومها والتفتت بعيدا فور أن وقع بصرها على جسدها العاري بالمرآة . لم تشعر بالارتياح لرؤية جسدها عاريا ، منذ تلك الليلة الأولى من شهر عسلها عندما نظر "چوليان" إليها وهي مستلقية فوق الفراش بالفندق مذهولة ومجهدة ليخبرها بقسوة بمدى قصورها كامرأة .

لم يكن مرجع وجهة نظره عيبا معينا في تكوينها الجسماني . حقيقة أنها كانت صغيرة الحجم ، نحيفة الخصر والأرداف ، ذات صدر ممتلئ طالما حاولت إخفاءه من خلف القمصان التائية الواسعة والسويترات الثقيلة . لا . كراهيتها لجسدها كانت راجعة إلى أخطاء داخلية أكثر منها عيوبا شكلية .

حتى الآن كانت تحلم أحيانا بأنها تسمع صوت ضحك "چوليان" الساخر ، بينما ترجوه ألا يلمسها . كان قبل زواجهما رقيقا محبا حانيا ، أقرب ما يكون إلى صورة العاشق المراعي لمشاعرها وحقوقها . كان من الواجب أن تفهم أن كل ذلك كان خدعة فقط ، أو واجهة ، لكنها ابتسمت بإفصاحه عن حبه لها ، وانبهرت به إلى حد جعلها شغوفا إلى أن تعتقد أنه يرغب فيها بحيث لم يمكنها أن تتصور أبدا ، أنه كان كاذبا فيما يقول .

لقد استحقت هذه الجراح - كان هذا رأيها الذي أكدته لنفسها وهي

www.elromancia.com

تجفف جسدها بعنف باستعمال المنشفة حتى تورد جسدها بلون خوخي زاه لم يكن الجنس من بين الأمور التي سمحت لنفسها بالتفكير فيها هذه الأيام ، عندما تجمعها الظروف بنساء أخريات ، كانت تصغي إلى حوارهن الصريح . إزاء براعة عشاقهن أو قصورهم ، وفي بعض الأحيان إلى وصفهن الأكثر صراحة لحاجاتهن ورغباتهن وعلى الرغم من أنها كانت تضحك وتبتسم وتبدي التعليقات المناسبة على ما تسمع ، إلا أنها كانت تشعر بموت بداخلها كما كانت تلك النساء تتحدثن بلغة أجنبية لا تتقنها هي في وصف سعادتهن ، لأن خبرتها في هذا المجال اختلفت عنهن تماما .

لم تشعر بالسعادة المترتبة على ممارسة الجنس إلا على نحو عابر غامض في الأيام الأولى لخطبتهما ، عندما كان "چوليان" يثيرها بقبلات محملة بالوعود ، آلت إلى لا شيء . ربما أنها لو لم تنشأ محاطة بهذا القدر من الرعاية ، ولم تكن بالتالي على هذا القدر من السذاجة لكان من الممكن لها أن تتبين الحقيقة ، وأن تناقش صدق رجل ادعى رغبة فيها بينما اكتفى في ذات الوقت بما لا يزيد على قبلة وداع في المساء .

لم يأتها بالرغبة في ليلة زفافهما؟ بل بالثورة والرفض والإصرار على أن يطلعها على الدور الذي أرادها أن تضطلع به في حياته . لم يتعامل معها بالرقة المطلوبة في تلك الليلة ، بل اتخذ من ألمها وذهولها رضا ، كاد يكون ساديا .

لم يعد إلى فراشها بعد تلك الليلة الأولى ، وكانت من الارتياح لذلك بحيث لم تأبه . انتزع منها في تلك الفترة الوجيزة من هذه الليلة الوحيدة حجابي البراءة والسذاجة اللذين طالما عاشت في حماهما فرات ما سيكون زواجها عليه . عاشت في حالة ذهول بعد ذلك ، وكان من دواعي ارتباطها أنه ظل بعيدا عن "پارنهام كورت" وقد حالت كبرياؤها مع ذلك دون أن تطلب نصح أولئك الذين كان من الممكن لهم مساعدتها ونصحها .

ترتب على وفاته تحررها من أكثر من ناحية ، كما لم يمكنها أن تبكيه . فقد أصبحت الآن امرأة مختلفة تماما عن تلك الفتاة الساذجة

الحمقاء ، ذات التسعة عشر ربيعا . قررت الآن أنها قد أصبحت أفضل حالا بسبب تلك الظروف التي تعرضت لها ، كما أصبحت حياتها أكثر ثراء في جميع النواحي التي تعنيها، مما كانت عليه أيام كانت الوريثة المدللة لوالدها .

لم تكن لديها من مشاعر الندم على ضياع ثروة والدها إلا تلك الناحية النابعة عن ذنب ، مرجعه علمها بوجود جهات كثيرة معوزة كان من الممكن أن تفيد من إرثها . أما عن نفسها فكانت قانعة بما هي عليه ، فخورا بإنجازاتها الصغيرة ، وبالتقدم الذي أحرزته على طريق الاستقلال والتفرد .

وكان واقعا - كما حذرها محاميها صباح اليوم - أن صيفا سيئ الطقس أو عاصفة رعدية شديدة - أو أي شيء آخر في الواقع يدمر محصولها من الأزهار من الممكن أن يؤثر على مركزها المالي إلى حد الكارثة .

لم يكن لديها من قبيل المدخرات إلا القليل ، لأن جميع الأرباح التي حققتها حتى الآن استثمرتها في هذا العمل على الفور ، وعلى الرغم من أنه حقيقة لم تكن لديها أي من هموم الرهونات أو الديون ، إلا أنها بحاجة إلى أن تجد ما يكفيها لتعيش حياة كريمة ...

ارتدت "روبها" وكان آخر هدايا والدها إليها بمناسبة أعياد الميلاد . أصبح الآن باليا باهت اللون ، ولكنه كان مريحا ودافئا حتى لو كان أنسب لصغار الفتيات منه لامرأة في الخامسة والعشرين . لم يكن لديها الكثير من الثياب ، إذ إن الثياب المتميزة مرتفعة الثمن التي كانت قد ابتاعتها في سني مراهقتها إما أنها بيعت ، أو تم التخلص منها بإعطائها إلى الغير ، إذ كان العدد الأكبر من بينها صارخا ، بحيث لا يدوم أكثر من موسم أزياء واحد . وبدلا من الحرير الذي ارتدته يوما ما ، أصبح ملبسها البنطلونات المصنوعة من الدنيم ، والقمصان القطنية، وهو ما لا يناسب عشاء مع رجل مثل "نيل ساكستون" . كان هذا ما شغل تفكيرها وهي تفتح ... خزانة الملابس وتبحث بداخلها ..

لماذا تهتم بما ترتدي ؟ لا رغبة لديها في أن تبهر الرجل حذرت

نفسها من أن النساء يزين اجسادهن بالحرير، واقمشة الستان حتى يرضين رجال هذه الفصيلة . أما هي فلا رغبة لديها في أن ترضي عين اي رجل او شهيته الجنسية .

التقطت بنطلونا نظيفا من الجينز ، ثم ترددت قليلا إذ أملت عليها كبرياؤها تلك الكبرياء التي دفعتها إلى قبول دعوته في المقام الأول - أن تلقي نظرة على الثياب القليلة الرسمية التي كانت لها . كان من بينها "تاييران" احدهما ما ارتدته ذلك الصباح، والآخر اكثر مناسبة لفصل الشتاء ،وهو ما ترتديه في اجتماعاتها المهمة مع مدير المصرف الذي تتعامل معه ، أو مع المحاسب الذي يتولى امور عملها ..

كان هناك معطف المطر على طراز كلاسيكي ، من قماش صامد للماء باللون الطوبي ومعطف فصل الشتاء باللون الأزرق البحري ، كانت قد اعجبت به في الشتاء الماضي واشترته ، كما كان هناك ثوبان من الكتان ثوبان اشترتهما من أحد محلات بيع الثياب المستعملة ، كانا مناسبين تماما للخروج إلى المدينة للشراء في أحد الأيام الحارة ، ولكنهما غير مناسبين لارتدائهما للعشاء - ثم هناك ثوبا المساء الخاصان بها . أحدهما طويل رسمي احتفظت به لحضور حفلات الشتاء النادرة التي كانت تضطر إلى حضورها ، والآخر - مدت يدها إليه وتوترت كان هذا الأخر هدية من عميلة كانت قد أنجزت من أجلها قدرا كبيرا من العمل .

كانت "هنًا فورد" قد انتقلت مع زوجها لتعيش في هذه المنطقة منذ حوالي ثمانية عشر شهرا تقريبا . فقد اضطر "توم فورد" المنتمي أصلا إلى "لندن" إلى أن يعيد النظر في أسلوب حياته على ضوء سوء حالته الصحية . كان قبل ذلك مدير استثمار ناجحا في حقل رؤوس الأموال المشتركة ، لكن نوبة قلبية واحدة مع إنذار باحتمال اللجوء إلى الجراحة كانا كافيين لأن يدفعا رؤساءه إلى نقله إلى أحد فروع البنك بالريف . أما "هنًا" التي كان عملها في مجال تصميم الديكورات قد بدأ يزدهر ، فقد اضطرت إلى التنازل عن ذلك النجاح لتأتي معه ، وكانت هذه النقلة مجزية لكليهما في أكثر من ناحية .

وإذ قررت "هنًا" الا تدع له فرصة الشعور بالذنب إزاء تخليها عن

وظيفتها الواعدة في العمل ، أصرت على أن تبدأ عملا لحسابها الخاص . وحتى هي اقرت بذهولها إزاء نجاحها الساحق في ذلك المكان الجديد . واقع الأمر أنها أحرزت من النجاح ما جعل "توم" يفكر الآن في أن يترك وظيفته بالبنك ليتولى الجانب المالي من عملها . وكما لم يكن ذلك بالإثابة الكافية إذ تبينت "هنًا" في غضون ستة أشهر من انتقالها لتعيش في هذه المنطقة انها قد حملت اول اطفالها .

واسرت في اذني "رو" ان اخر شيء كانت تتطلع إليه في التاسعة والثلاثين من عمرها هو ان تبدأ تكوين اسرة ، لكن فور وصول "لوسي سافرون فورد" لم تدخر "هنًا" و"توم" وسعا لتدليلها، كما لم يفعل ابوان من قبل ، حتى أن "هنًا" قد بدأت تتحدث عن ضرورة إنجاب شقيق أو شقيقة لـ"لوسي" . وإذ كانت "هنًا" قد شاهدت إحدى سلال الأزهار جميلة التنسيق من إعداد "رو" لدى أحد عملائها لم تتوان في الاتصال بـ"رو" طالبة منها تصميم بعض التجهيزات التي تضيف اللمسات الأخيرة إلى الألوان التي تستخدمها في تصميم ديكوراتها ...

أذهلها تواضع الأتعاب التي طلبتها "رو" عن هذا العمل إذ كانت منخفضة إلى حد غريب قياسا بمستوى الأسعار في لندن ، أو هكذا أخبرتها "هنًا" .ومن ثم قدمت إلى "رو" بمناسبة عيد الميلاد صندوقا كبيرا ذا تغليف شيق ، بداخله وتحت طبقة تلو الأخرى من الورق الرقيق ثوب لم تر "رو" مثله من قبل صممته إحدى صديقات "هنًا" خصيصا من أجل "رو" هكذا أخبرتها "هنًا" .

كان من القطيفة السوداء - أفخر أنواع القطيفة التي رأتها "رو" طوال حياتها - أعد على نحو غاية في التواضع وغاية في الأناقة بحيث لا تظهر مهارة مصممه إلا بارتدائه . التف جزؤه العلوي ذو الكمين الطويلين بمنحنيات جسد "رو" وخصرها النحيل ، بينما لامست جونلته المصممة على هيئة زهرة التيوليب ركبتيها ، ملمحة إلى نحالة ردفيها وأبرزت كشكشة الثوب الكثيفة في المنطقة الخلفية جمال الجونلة ، مضفيا على الثوب لمسة الرسمية مما جذب جميع الأنظار إلى "رو" في كل مرة ارتدته . فيها كانت قد اكدت لـ"هنًا" أن الثوب لم يكن مناسبا لفتاة في مثل ظروفها ، وانه يعتبر هدية باهظة

الثمن في جميع الأحوال . لكن "هنّا" بدت من التاثر والاستياء بما حال دون أن ترفض "رو" قبوله .

كانت "هنّا" قد اقامت حفلا ليلة رأس السنة الجديدة وأصرت على أن ترتدي "رو" هذا الثوب عندئذ . وارتدته "رو" ومع ذلك ورغم محاولات الإطراء التي تلقتها من ضيوف "هنّا" من الرجال لم تخدعها تلك المجاملات ، إذ علمت أن الرجال يطرون ويجاملون لانهم يريدون شيئا ما . وأن كلماتهم لا تعني شيئا ، ويتعين الا تؤخذ مأخذ الجدية . لذلك حرصت على إبعادهم عنها بابتسامة تقييم فاترة ، وبلا مبالاة جعلت "هنّا" التي كانت تراقبها تتنهد يأسا .

لم تعلم "هنّا" عن ماضي "رو" شيئا أكثر من أنها لم تكن سعيدة في زواجها ، وأنها الآن أرملة . علمت عن علاقة "رو" بـ"بارنهام كورت" من أحاديث اهل القرية ولكنها لم تكن من ذلك النوع من النساء اللائي تسعين لمعرفة الأسرار التي لا تأتيها بطبيعة الحال، لذلك تجاوبت مع "رو" في حقها في الاحتفاظ بخصوصياتها حتى في الوقت الذي كانت ترثي فيه إصرار صديقتها على أن تستبعد من حياتها أي فرد من الذكور باستثناء "هوراشيو" الأمين .

رفعت "رو" هذا الثوب من خزانة الملابس وأمسكت به فوق جسدها . رأت أنه بشعرها المشدود إلى الخلف على هيئة ذيل الفرس وأنفها الذي بدأ جلده يتشقق بفعل أشعة الشمس لم تكن المرأة التي يناسبها هذا الثوب بالغ الأناقة والإغراء . بدأت تعيده إلى مكانه في الخزانة حتى تلبسه عند الخروج ، ثم تذكرت نظرات "نيل ساكستون" إليها في أول لقاء لهما وقبل أن تدرك جيدا ما كانت تفعله كانت قد استبدلت ملابسها الداخلية بأخرى نظيفة ، وشرعت تغلق الزمام المنزلق للثوب.

لم تكن قد غالت في استعمال زينة الوجه من قبل . صففت شعرها المبلل ووضعت لمسة من اللون الوردي فوق وجنتيها وبعض الظلال على جفنيها قبل أن تضيف لمسة من أحمر الشفاه وردي اللون إلى شفتيها وما إن انتهت نظرت إلى المرآة لترى فيها صورة تلك المرأة التي قال لها "چوليان": إنها كانت - لا أنوثة لها ولا جاذبية امرأة لا

تفي باللقب - ولم تعلم أن عدم وفائه هو الذي أدى به إلى القسوة عليها . كانت في منتصف طريقها إلى الطابق السفلي عندما تساءلت فجأة عما تفعله ، وعن السبب في تأنقها إلى هذا الحد لتتناول العشاء مع "نيل ساكستون" . التفت إلى الخلف حيث بدأت مسرعة تفتح الزمام المنزلق للثوب في ذات الوقت . لكن الوقت كان قد أصبح لا يسمح لها باكثر من ذلك .

إن "هوراشيو" في المطبخ بدأ يعوي . وبينما وقفت حيث كانت ساكنة لعجزها عن اتخاذ القرار سمعت صوت ناقوس الباب . فكرت لحظة في أن تبقى في مكانها، أملا في أن يمل الانتظار ويمضي ، لكنها سرعان ما تبينت حماقة الفكرة ، وعادت تغير اتجاهها مرة أخرى لتهبط الدرج .

كان الدرج على أحد جوانب المنزل ضيقا ، حاد الزوايا ، مؤديا إلى رواق داخلي صغير . سارت منه عبر حجرة مكتبها ، وفتحت الباب المؤدي إلى الرواق الضيق .. لم يزل ضوء النهار بالخارج ، رغم أنها كانت بحاجة إلى أن تفتح الأضواء بالداخل نظرا لضيق نوافذ الكوخ .

ربما لهذا السبب بدا "نيل ساكستون" فجأة أطول بكثير عما تذكرته هذا ما رأته حينما كانت تفتح الباب له ، وانحنى ليدخل إلى الرواق الصغير الذي كاد لا يتسع لاكثر من شخص واحد . وتبينت "رو" كم كان جسدها يتوتر عندما أحس شذا بشرته النقي المميز ، وقد امتزج بقدر طفيف بماء الكولونيا الذي لاحظت استخدامه إياه من قبل.

كان - مثلها - قد استبدل ثيابه وتبينت بما يشبه الصدمة أنه كان يرتدي حلة عشاء رسمية ، وتلا الذهول غضب . هل كان يعتزم إحراجها بارتدائه تلك الثياب الرسمية إلى أقصى الحدود ؟ لم تدرك أن مشاعرها قد انعكست بوميض براق لاح في عينيها عندما نظرت إليه على نحومباشر ، وسمعته يلتقط نفسا خفيفا ويركز بصره عليها .

تحول غضبها على الفور إلى الريبة عندما قرأت في نظراته ما علمت، أنه من المستحيل أن يكون سوى إعجاب زائف ..

قالت :

- " سأضع "هوراشيو" في المطبخ فقط ، إذا راق لك أن تنتظرني

بالخارج ... "

فسالها مقاطعا :

- " لماذا ؟ من المؤكد انك لا تخشين الوجود معي بمفردك؟" ضايقتها سخريته ، واشتد ضيقها لانها كانت تظن انه يعلم بالتاكيد مدى عدم الارتياح الذي يحتويها في صحبته .

فاجابته بنبرة جافة :

- " إطلاقا . ذلك لان هذا الباب لا يقفل . إلا من الداخل"

نظر إلى قفل الباب . وقطب بقدر طفيف ثم قال باقتضاب:

- " يتعين تركيب سلسلة امان به . " ثم اضاف " . إنك معزولة جدا هنا . الا تخافين ابدا ؟"

وارتفع ذقن "رو" لتقول مسرعة :

- نعم لا اخاف ، بينما كانت تتساءل عما إذا كان من الممكن أن يقوله لو انها اخبرته بان مخاوفها جميعها داخلية - مخاوف من ذاتها ، ومن عدم ملاءمتها ، ومن تصوراتها ، اكثر منها من العالم الخارجي . تصورات من ذلك النوع الذي قد لا يتصور هذا الرجل وجودها ابدا .

فقال متاملا :

- " ممم .... تثيرين في الدهشة . امراة تعيش بمفردها . كنت اتوقع منك قليلا من التدابير التي تكفل الأمان "

ولسبب ما جعلت كلماته ارتعاد إدراك يسري في جسدها فقالت له بنبرة رقيقة :

- " ربما راعيت ذلك مستقبلا "

فتحت الباب وظلت ممسكة به حتى عاد إلى الخارج ثم اغلقته بإحكام من خلفه واخذت "هوراشيو" إلى المطبخ الذي ما إن اغلقت بابه، وتاكدت من ذلك جيد حتى سلكت طريقها إلى حيث الباب الامامي المنزل..

ارتجفت بدرجة طفيفة عندما تبينت ان "نيل" ينتظرها فوق الممر الامامي . كانت تتوقع منه ان يتجه إلى سيارته مباشرة وتوترت اعصابها وهي تسير في الممر وتعلم انه هناك على قيد خطوتين من خلفها . ولسبب لم تعلمه اصابها وجوده بعدم ارتياح وبتهديد لاعلاقة

لهما بما ورثه "چوليان" إياها من كراهية لافراد جنسه .

كان عليها أن تنتظر حتى يفتح باب سيارته ، ولدهشتها انه فور أن فتح القفل المركزي التف حول السيارة ليتوقف عند باب الراكب الامامي ويفتحه لها بغير سخرية او استفزاز ، بل بهدوء وتلقائية ، جعلاها ترى أن من الممكن أن يفعل ذلك لاي من افراد جنسها بغض النظر عن عمرها أو مظهرها .

عندما شكرته بنبرة حادة ارتفع حاجباه ، ثم قال وهو ينظر إليها :

- " اه . ارى انني قد اغضبتك ، رغم انني عاجز عن أن افهم السبب في أن الاخلاق الحميدة يمكن أن تكون كريهة للبعض "

ارادت "رو" أن تجيبه بتعليق ماهر مفاده ، ان معاملته إياها كما لو كانت غير قادرة على أن تفتح لنفسها باب السيارة ينطوي على إنقاص من شانها ، وحط من قدرها ، لكن لسبب او لآخر رفضت الكلمات أن تفارق شفتيها ، كانت في الماضي تعتبر أن من حقها أن يفتح الرجال لها الأبواب ، ويحمونها ويدللوها لكن كان ذلك قبل أن تتبين ما هو خاف وراء تلك الرعاية الابوية وارتعد جسدها مع ذلك عندما تبينت ضعفها واضطرت إلى أن تقر بان هناك ما يرضي في معاملتها ، وكان راحتها ذات اهمية . ظلت تحذر نفسها وتذكرها بانه يطلب ارضها ، بينما كانت تغلق باب السيارة، وعاد "نيل" إلى الجانب الآخر منها ليستقل مقعد السائق بجوارها هذا كل ما في الأمر ، بغض النظر عما يبذله من محاولات كي يتظاهر بغير ذلك : فهو يهدف إلى إطرائها ودفعها إلى حالة من الحساسية مخفيا دوافعه الحقيقية . لأن رجلا بمثل إمكاناته يمكنه أن يقتني من تجهيزات الأزهار المجففة ما شاء ، ومن أي مكان يختاره دون ما حاجة إلى استضافة امراة ، ربما مل صحبتها وشخصها لا . لم يكن الدافع إلى دعوتها إلى العشاء ذا علاقة تذكر برغبته في الاسترشاد برايها بشان التجهيزات المناسبة من تلك الأزهار التي يمكنه الاستعانة بها في إعداد الديكور اللازم لاستقبال والدته في اثناء زيارتها له ، إنما رغبة منه في تلبيتها حتى توافق على بيع أرضها له .

أمسكت بحزام المقعد بصبر نافد ، ثم قطبت عندما رفض أن يتحرك .

www.elromancia.com

جلس "نيل" بجانبها يجذب حزام مقعده بحزم ، وكان موشكا ان يثبته عندما تبين ما حدث . ترك حزامه يسقط مرة اخرى ، ومد يده كي يلتقط حزام مقعدها . عندما ملأ رأسه وكتفاه المساحة الصغيرة بينها وبين حاجز الريح توترت تلقائيا وابرد الخوف الدماء في عروقها وتوقفت الانفاس في حلقها وهي تكبح مشاعر الاسى المتزايدة بداخلها

بينما كان "نيل" يقول بهدوء :

- " الأمر غاية في اليسر . ما عليك إلا ان تمسكي به هكذا وتجذبيه برفق ".

جلست "رو" متيبسة في مقعدها تستند بظهرها إلى الخلف ومعدتها ترتعد قلقا ، بينما جذب "نيل" الحزام عبر المقعد ، وعمل على تامينه بجانبها . كان من القرب منها بحيث استطاعت أن ترى رموش عينيه وبشرته العضلية ، وكذلك الخط القاتم لذقنه الحليق يمتد فوق فكه وفوق شفته العليا .

- " ما الخطب ؟"

جزعت لهذا السؤال الهادئ . كانت قد شغلت في اكتشافها الذي أثار دهشتها إن امتلاء شفته السفلى يخفف إلى حد كبير من الصرامة البادية على وجهه عند هذا الحد من القرب .

- " انا ... لا شيء ".

هكذا تلعثمت مدركة إلى حد اليأس كم كان مسلكها يبدو غريبا .

قال وهو يمسك الحزام برفق :

- " هاك اعتقد انك تحبينه جيد التثبيت الآن " ثم اعتدل في جلسته .

وبدأ يثبت حزامه ، وفي تلك الأثناء سألها بهدوء :

- " هل اشبهه إلى هذا الحد ؟"

كانت تعبث بقفل حقيبة يدها الذي سقط الآن من بين أصابعها المتوترة . دققت النظر إليه غير قادرة على أن تتحكم في تأثير كلماته عليها او أن تخفيها عنه .. سألته :

- " انا ... ماذا تعني ؟"

ورمقها بابتسامة جعلتها ترتعد ، ثم قال بنبرة جافة :

- "هيا يا "رو" . لست حديث الولادة . منذ أن التقينا وانت

تعاملينني وكانني كلب شرس . وحيث إنني على حد علمي لم اقترف ما أستحق عنه مثل هذه المعاملة فالتفسير الوحيد الآخر الذي يتطرق إلى الذهن هو انني لابد أن اكون مذكرا إياك بشخص يستحقها".

فاجابته برقة وصدق :

- "چوليان" ... "چوليان" كان أشقر الشعر . " وراته من خلال زاوية عينها يقطب ، كما لو لم تكن كلماتها تلك ما أراد أن يسمع . لكن أي رجل يرحب بمناقشة حكمه ؟ إنه مخطئ لو انه ظن انه يشبه زوجها المتوفي من اية ناحية من النواحي .

لم يكن "چوليان" طويلا جدا إذ بلغ طول قامته حوالي ١٦٥ سم .

كان أشقر الشعر أزرق العينين في قسماته الصبيانية أقرب إلى النجومية ، بينما أن لوجه "نيل" من الذكورة وصلادة العظام ما يحول دون وصفه بجمال القسمات . ومع كل ذلك كان هناك شبه ما . علاقة ما . ليس فيما يبدو "نيل" عليه لكن في تاثير وجوده عليها . تلك الاحاسيس التي تداعب أطراف أعصابها كلما اقترب منها .

هي ذات الأحاسيس التي عرفتها في الأيام الأولى التي وقعت فيها في حب "چوليان" . ارتعدت إزاء خوف داخلي لما اقرته . كانت الرغبة في "چوليان" هي التي اثارت فيها تلك الأحاسيس عندئذ ، لكن الخوف والكراهية لـ"نيل" هي التي أعادتها إليها لابد أن يكون الأمر كذلك . لأنه من المستحيل عليها أن تشعر برغبة في أي رجل - وهذا الرجل على وجه الخصوص لا سيما وانه قد أوضح انه لن يتوانى في اتخاذ أي إجراء يمكنه من الحصول على أرضها على الرغم من أن السبب في ذلك لم يكن خافيا عليها .

ما دام أن أحدا غيره يمتلك تلك الرقعة ، سيكون في حالة قلق دائم من أن تباع إلى مضارب ما ، مثل ذلك المقاول الذي سبق له التقدم لشرائها . أو إلى مستثمر يقيم فوق قطعة أرضها هذه مجموعة من المنازل ، قد تمتد إلى منتصف الممر الخاص المؤدي إلى "پارنهام كورت" لأن هذا من شانه أن يفسد المنظر المتاح إلى تلك النوافذ الجميلة بالطابق الثاني ، ويؤدي بدوره إلى إفساد الرونق المتميز للمنزل ، مما

www.elromancia.com

يهبط بقيمته التجارية إلى الحد الادنى، اي نعم تعلم جيدا السبب في رغبته في اقتناء قطعة ارضها ، ومع ذلك لن تبيعها له او لاي إنسان اخر . لانها تعني لها الكثير جدا .

كان من الحماقة ان تقبل هذه الدعوة ، وان تعرض نفسها إلى الخطط التي كان واضحا انه سوف يستخدمها ضدها فور ان يتحقق من تاثرها به ... ارغمت نفسها على عدم التفكير ، وقد شعرت بالارتياح ان تبينت ان السيارة قد توقفت خارج المدخل الرئيسي للمنزل .

وكما فعل من قبل اتى "نيل" ليفتح لها باب السيارة ، لكنها كانت في هذه المرة متاهبة له ، فامسكت بالمقبض وفتحت الباب قبل ان يصل إليه ، حتى كادت تتعثر في تعجلها مغادرة السيارة . جعلت النظرة التي رمقها بها وجهها يتوهج ، لكنها اقنعت نفسها بعناد ان من حقها حماية نفسها منه ، وانه يحاول ان يفتنها ويخدعها فقط .

اصطحبها إلى داخل المنزل الذي كان مالوفا لها في وقت من الاوقات. تغير الرواق الفسيح بالداخل قليلا . كان لحسن حظها ان اهتدت إلى مشتر رغب في شراء القدر الاكبر من اثاث المنزل إضافة إلى المبنى والارض ذاتها. رات عندما دخلت الرواق ان بعض ذلك الاثاث والمفروشات على الاقل لم لاتزال هناك .

تلوى الدرج الانيق إلى الطابقين الثاني والثالث برشاقة ورقة . وعلى قيد ثلاث مجموعات من الدرجات من فوقهم بدت قبة السقف بتصويرها الجصي لبعض القصص الرمزية جذابة كما كانت دائما . والرواق البيضي الفسيح بارضيته المكسوة بالبلاطات البيضاء والسوداء معينية الشكل بدا رطبا بعد حرارة السيارة .

انبثقت عنه اربعة ازواج من الابواب الضخمة المصنوعة من اخشاب الماهوجني ، وبين كل زوجين منها ، وعلى كل من جانبي الجدار مرايا ومناضد مزخرفة مذهبة . اضاء ذلك الرواق ثريا فخمة من الكريستال، ومد "نيل" يده يفتح اضواءها فانكسرت الاشعة من فوق قطعها متلالئة إلى حد كاد يؤذي عيني "رو" .

قال "نيل" وهو يلمس كتفها ، مما جعلها تقفز وهو يشير إلى اول

ازواج الابواب المزدوجة :

- " من هنا "

ترددت "رو" قليلا إذ كانت تعلم ان ذلك الباب يؤدي إلى المكتبة ، لا إلى حجرة المائدة ، ومن المكتبة إلى حجرة الجلوس الصغيرة الخصوصية التي كانت هي ووالدها يستخدمانها دائما تقريبا ، ومنها إلى المستنبت الزجاجي ، وتبينت عندما قادها "نيل" إلى هناك انهما سيتناولان وجبتهما به .

وهنا قال لها مجيبا دهشتها التي اصاب تفسيرها .

- حجرة المائدة ، رغم جمالها لا تفي الغرض،عشاء ودي عادي . قدم إليها مشروبا ، ولما هزت راسها رفضا اجابها مفسرا بانه على الرغم من ان كل شيء كان معدا ، إلا ان تقديم الوجبة يستغرق منه بضع دقائق . لم تابه "رو" كم من الوقت يستغرق لان مع كل ثانية مرت بها كان ندمها إزاء حماقتها بالموافقة على المجيء إلى هنا يتزايد . اخر ما كانت ترغب فيه هو ان تجلس إلى المائدة مع هذا الرجل وتشاركه وجبته . ومع ذلك عندما عاد "نيل" يدفع امامه عربة طعام محملة بالاصناف الساخنة ذكرتها رائحة الطعام اللذيذة المغرية باخر مرة تناولت فيها طعاما .

كانت الوجبات في اثناء الصيف ، وعلى افضل الفروض من الاطعمة الخفيفة التي تتناولها على نحو متقطع . لكن اليوم فاتها لسبب او لآخر ان تتناول وجبة الغداء والقدر الخفيف الذي اعتادت ان تتناوله في حوالي الخامسة .

قال "نيل" وهو يقدم الطبق الرئيسي من الوجبة :

- " بعد ان ننتهي من تناول طعامنا ساطلعك على الجناح الذي افكر في إعداده ، من اجل والدتي ".

كان الطبق الاول من الوجبة صينية من سمك السالمون الطازج المضاف إليه التوابل المستمدة من بعض الاعشاب وقد استساغته "رو" إلى حد بعيد جعلها تثني على مهارته في إعداده بنبرة جادة، بينما احترقت غضبا وهي تستشعر سروره .

كرهت فكرة انه ربما يضحك عليها حتى في الوقت الذي اقرت

لنفسها فيه انه يستحق مثل هذا السرور عن جدارة . كادا ينتهيان من طبقهما الرئيسي عندما سالها على نحو مفاجئ .

- " اخبريني بمزيد عن ذلك الزوج الذي كان لك . لماذا تزوجته في بادئ الأمر ؟"

كانت "رو" قد ارتشفت من كاسها توا فكادت تختنق غير مصدقة ما كانت تسمع .

سالته بحزم غير مخفية عنه غضبها :

- " ما الذي تريد ان تعرفه على وجه التحديد ؟ لماذا رغب في الزواج بي ؟ من المؤكد ان هذا واضح . كنت واسعة الثراء بالغة الحماقة ".

فقاطعها "نيل" بجفاف :

- " كنت ايضا صغيرة السن جدا لا حماية لك " ثم اضاف : " يجب الا تلقي على نفسك بكل اللوم على ما حدث يا "رو" ".

هالتها غطرسته ، وسرعان ما عاد الغضب والخوف اللذان نجحت على مدى الوجبة في كبحهما عن الظهور . نهضت ثائرة تدفع بطبقها بعيدا عنها لتواجهه في شجاعة :

- " "نيل" - إنك تضيع وقتك . اعلم جيدا انك جئت بي إلى هنا بحجة الاسترشاد برايي ".

كان قد نهض ايضا مبتعدا عن المنضدة في ذات اللحظة التي فعلت هي فيها ذلك ، حيث وقف يحول دون خروجها . لم يكن المستنبت بالحجرة الفسيحة ، وجعلتها النباتات المتراكمة بداخلها تبدو اكثر ضيقا - بل وإلى حد مخيف ، كما بدا لـ"رو" . بدا الأسى يسري بداخلها . وعندما اقبل "نيل" نحوها سمعته يقول :

- " هل تعلمين حقا ؟ حسنا . لن يدهشك أن افعل هكذا.. اليس كذلك؟"

وقبل ان تتمكن من الابتعاد عنه كان قد قبض عليها خافضا فمه إلى شفتيها ليسكت كلمات غضبها الثائر من تحت ضغط شفتيه الضاري.

كانت قبلة غاضبة قاسية ، لم تدع لها مجالا للشك في احتقاره إياها، وكراهيته لها . ازداد ضغط شفتيه عندما حاولت ان تتخلص من قبضته ، وفي اللحظة التي بدا الأسى ينهشها خف ضغطه عليها ، وبدأت القبلة تصبح إغواء اكثر منه عقابا كانت يداه الممدودتان لها

قابضتين عليها .

وحين اصابها ذهول حال دون ان تتخلص منه سكنت تماما ، بينما جذبها "نيل" اقرب إليه . وما إن بدات شفتاه تطوفان برقة فوق شفتيها حتى استجمعت تعقلها ، وجذبت نفسها مبتعدة عنه غاضبة منه ، وغاضبة من نفسها . قال "نيل" وهو يتركها :

- " ارجو الا تتوقعي مني اعتذارا عن ذلك .

"وسالته "رو" بحدة متجاهلة تعليقه :

- " كيف تجرؤ ؟ كيف تجرؤ على ان تقف هكذا وتقول لي ذلك... ؟"

ونبعت الدموع في عينيها على خلاف ما توقعت . التفتت بعيدا عنه وهي ترتجف من قمة راسها حتى اخمصي قدميها . "ما الذي قلته او فعلته ليجعلك تظن انني ارحب ... ارحب بهجوم كهذا ؟"

- " هجوم ؟ لم يكن الأمر هجوما ... نعم كنت غاضبا ..."

- "غاضب" التفت "رو" حول نفسها تواجهه وعيناها تومضان بدموع لم تذرف . "وذلك الغضب خولك الحق في ان - تفرض نفسك عليّ ؟ وإن.. اه انتم الرجال جميعا سواء . تعتقدون ان لكم حقا إلهيا في معاقبتنا ... وإخضاعنا بفرض انفسكم علينا . جئت بي إلى هنا الليلة حتى تغريني بان ابيع ارضي لك . ثم وعندما تبينت ان خطتك لن تجدي فكرت في اللجوء إلى وسيلة إغراء مختلفة . كان زوجي مثلك تماما . عاقبني باستخدام ... توقفت فجاة لتدقق النظر إليه فرات تعبير الازدراء الغاضب يزيد عينيه قتامة .

قال بنبرة مهذبة :

- لا استطيع ان اصدق انني اسمع شيئا من هذا . لقد قبلتك لسبب واحد دون غيره يا "رو" - سبب لا علاقة له باية خطط شيطانية تحملك على بيع ارضك . السبب في انني قبلتك هو لانني تمنيت ان افعل ذلك منذ اللحظة التي وقع بصري فيها عليك . حسنا . لم يكن من الواجب ان يحدث ذلك على النحو الذي حدث به. ولهذا اعتذر لك .. لكن ان تتهميني بـ ..."

نظر إليها يسال بهدوء " :

- بماذا اتهمتني يا "رو" ؟ اعتقد انني اعلم ، ولكنني لست واثقا بان

www.elromancia.com

بإمكاني أن أصدق ما أسمعه . أعتقد أن بوسعي أن أتفهم مشاعرك حيال زوجك - واضح أنه قد أساء إليك في الفراش وخارجه على حد سواء -لكن لابد أن هناك رجالا آخرين منذ وفاته أثبتوا لك أن جميع الرجال ليسوا سواء .."

التقط نفسا وقد رمشت عيناه وانقدت عظام وجنتيه بتورد داكن ، وهو يتوصل إلى الحقيقة . " لم يكن هناك رجال آخرون - أليس كذلك ؟" وجاء استفساره مباشرا هادئا .

كانت "رو" واثقة بأنه بأنه لو اتخذ أدنى حركة في اتجاهها لكانت قد غيرت اتجاهها ولاذت بالفرار . لكن لأنه بقي حيث كان ، ولأن مشاعرها كانت في حالة اضطراب تام ظلت واقفة في مكانها تدقق النظر إليه ، غير قادرة على أن تنفي كلماته بما كان كلاهما يعلم أنه كذب .

سألها بصوت حان :

- " ماذا فعل بك يا "رو" ؟ ما الذي اقترفه ليجعلك تعتقدين أن كل رجل يلمسك إنما يفعل ذلك رغبة في إيذائك ؟

" ثم سألها بإلحاح :

- "هذا هو شعورك . أليس كذلك ؟"

أجابته "رو" بهدوء وهي تدفع بقدر من الهواء إلى رئتيها المتألمتين ، حيث كان جسدها من الوهن بفعل الذهول والقلق حتى كادت ألا تقوى على الوقوف :

- " لا أريد التحدث عنه . أريد أن أعود إلى البيت . الآن . لابد لي من أن أعود ... " وبدأت فجأة تتفوه بألفاظ وعبارات لا معنى لها ، أو هكذا بدت لأذنيها وقد ارتفعت نبرة صوتها أسى وألما . كادت تعدو متعثرة نحو الباب لكن "نيل" بلغه قبلها .

قالت بنبرة محمومة :

- " دعني أذهب ".

لتتبين أنه لم يكن لامسا إياها إطلاقا . توهج وجهها عندما رأت الإشفاق والحنان متقدين في عينيه . لكنها أكدت لنفسها أن مشاعره نحوها ليست حقيقية بل مجرد شرك ... مجرد حيلة ... مجرد فقرة في الخطة التي أعدها لحملها على بيع أرضها إليه . قال :

- " لن أدعك تمضين هكذا . حسنا . سأصطحبك إلى البيت إذا كانت هذه هي رغبتك ... لكنني لن أدعك تخرجين من هذا المكان بمفردك ، وأنت على هذه الحال . "

ثم أضاف بصوت خفيض : " واقع الأمر أنني غير واثق بأنه يتعين علي أن أتركك تمضين إطلاقا . "

أجابته "رو" معترضة بوهن وهي تبذل كل ما في وسعها لتستعيد سيطرتها على ذاتها . وكما لو كان قد استشعر أساها ظل بعيدا عنها بما أملاه عليه نقاء ضميره يراقبها بعينين تسجلان كل ما يطرأ على وجهها من الانفعالات مهما صغر شانها.

تنازعته في نظره إليها الشفقة والغضب . كان قد استشعر عداءها له منذ اللحظة الأولى التي رآها فيها . لكن ذلك لم يحل دون استمرار مشاعر رغبته فيها .

قالت له بينما كان يصطحبها إلى الخارج إلى سيارته :

- " مهما كان ذلك الذي تقوله أو تفعله - لن أبيع أرضي أبدا "

قال بذكرها ، بينما كان يشغل المحرك ويفتح الأضواء :

- " أمامنا زمن طويل جدا . وعندما أرغب في شيء لا يهدأ لي بال حتى أحصل عليه " ..

www.elromancia.com

الفصل الرابع

استيقظت "رو" عدة مرات في اثناء تلك الليلة تؤرقها الاحلام المزعجة التي تركتها في قلق وتوترتشعر بوحدة قاتلة رغم الاصوات المواسية المنبعثة من "هوراشيو" في اثناء نومه . عندما كانت الثالثة والنصف وحتى تاكدت من انها لن تعود إلى النوم نهضت واتجهت إلى الطابق السفلي واخذت تنظر من خلال النافذة إلى الجو الهادئ السابق على بزوغ الفجر، ويداها تتلمسان دفء قدح القهوة الذي أعدته .

لم تكن قد اعتادت من نفسها مشاعر عدم الارتياح هذه فعلى الرغم من انها لم تنس مشكلة زواجها الذي لم يدم طويلا إلا انها الت على نفسها أن تطرح الأمر برمته خلف ظهرها . والحياة التي اعدتها لنفسها هنا في "كوخ الكرمة" مريحة مكفولة الأمان . ربما اعتبر البعض حياتها متسمة بالوحدة وغير طبيعية في بعض النواحي لامراة في مثل حداثة سنها . لكن تلك الوحدة بالنسبة إلى"رو" كانت الأمان بعينه .

مادام انه ليس هناك من يشاركها حياتها فليس هناك من يفكر في إيذائها . وكان هذا الوضع مرضيا إياها إلى حد بعيدا . استغلت

صديقاتها بين الحين والحين مهارتهن في صنع الزيجات . ولكنها كانت في كل مرة تترك الرجل المعني في غير شك يذكر ، إزاء حقيقة مشاعرها ، بحيث إنه لم يكن من بينهم إلا عدد قليل وجد لديه الشجاعة الكافية لمعاودة الكرة . والآن ولشدة دهشتها غزا "نيل ساكستون" حياتها في فترة زمنية لا تذكر ، ليهدد امنها ، إلى حد جعلها تشعر برفض مرير .

عندما قبلها في الليلة الماضية ... ارتعدت ووضعت قدح قهوتها الذي لم يفرغ بعد . لم ترغب في التفكير في تلك القبلة وفي الاحاسيس التي راودتها على نحو بالغ الإيجاز ، وإن كان غير قابل للنسيان ابدا ، قبل أن تنتزع نفسها من ذراعيه .

اشتد ضيقها من نفسها بسبب ضعفها ، فمدت يدها تفتح المذياع وتحوله إلى النشرة الجوية الخاصة بالمزراعين . ظلل الهم عينيها عندما استمعت إلى النشرة التي حذرت من أن موجة الطقس المعتدل كادت تنتهي ، وأن عواصف رعدية في طريقها إلى البلاد .

كان محصولها الرئيسي من الأزهار الصيفية في حاجة إلى ما لا يقل عن يومين من الطقس المشمس قبل أن يصل إلى ذروة النضج . إذا قطفت الأزهار قبل ذلك الموعد فلن تتفتح حتى اقصى حد لها . لكن إذا تركتها ووصلت العواصف الرعدية مبكرة .. أعادت ملء القدح وهي تعض شفتها السفلى واخذت تتجول في ارجاء المطبخ ثم تذهب إلى النافذة تقف امامها .

بدا الجو يضيء بقدر معقول الآن . كانت الاعشاب التي زرعتها في حماية الحديقة المحوطة بالجدران في أمان دائم من الرياح المرتفعة ، ولم تسبب لها قلقا بالغا . لكن حقولها كانت واقعة في المساحة ما بعد الوقاية التي توفرها الجدران وكانت بذلك معرضة للعوامل الجوية إلى حد كبير .

كانت الغالبية العظمى من النباتات التي كانت تعمل على زراعتها لغرض التجفيف صيفية الإزهار . لأن في هذا الفصل تبلغ الالوان المحببة إلى عملائها ذروتها . إذا حدث أن خسرت هذا المحصول ... ارتعدت وارتخت كتفاها قليلا :أحست بالوحدة حقيقة .. وبرغبة في

www.elromancia.com

... ماذا ؟ لامت نفسها بشدة . كيف تتكئ عليه ؟ لاحت في مخيلتها على الفور صورة ذهنية لـ"نيل ساكستون" صرفتها عنها بغضب ثائرة للأسلوب الذي كان جسدها يمارس حيله عليها. كان الرجل عدوا لها ، يطلب أرضها ، فإذا كانت من الحماقة بحيث يفتنها سحره العجيب ، وإطراؤه إياها ، فإنها تكون مستحقة القدر الذي ما من شك في أن يصبح نصيبا لها .

الم تتعلم من زواجها بـ "چوليان" شيئا ؟ الم تقسم على أثر هجره إياها ، بالا تسمح لأي رجل بالتسلط عليها من خلال مشاعرها ؟ وهاهي ذي مع ذلك في لحظة إرهاق وضعف ، تسمح لنفسها بالاستجابة إلى الحاجة الانثوية الأساسية في السعي وراء حماية لها من قسوة الحياة - ولماذا ؟ أليس حقيقة أن النساء كن دائما ، وعليهن أن يكن اقوى من الرجال عاطفيا ، وأن النساءفي جميع أنحاء العالم اضطررن إلى أن يحتملن ما هو أكثر سوءا مما تتعرض هي له الآن ؟ ملايين عديدة منهن ، كان عليهن ليس كسب عيشهن فقط بل تنشئة أطفالهن ايضا ، وغالبا ما يكون ذلك دون عون من الرجل الذي أنجبهم

الم تتعلم بعد أن الرجال ليسوا أهلا للثقة ، وانه من الأفضل بكثير أن تظل مستقلة بحياتها ؟ انتهت النشرة الجوية ودوت الموسيقى من المذياع . مدت يدها واقفلته في صبر نافد .

دخل "هوراشيو" المطبخ بهدوء . بدا متسائلا بشيء من الاعتراض وهو ينظر إليه ، كما لو كان يستفسر منها عما كانت تفعله ، وقد تركت فراشها في مثل هذه الساعة المبكرة من اليوم . كان الوقت قد تاخر بما لا يسمح بعودتها إلى الفراش - ساعة أخرى ويكتمل الضوء

نفد صبرها فجاة واشتدت رغبتها في التوجه إلى الحقول لتقف على حالة نماء أزهارها حتى مع اعترافها بأن أي قدر من رغبتها في أن تكون الأزهار مهياة للحصاد ، لن يكون له ادنى تاثير عليها .

اغتسلت في الطابق العلوي ، وارتدت بنطلونا من الجينز نظيفا، وإن كان عتيقا مع قميص تائي كانت الوانه قد بهتت ، ونسيجه قد تداخل حتى اصبح شبه ملتصق باستدارة صدرها ، بما لم يرق لها .

طرحت الفكرة جانبا ، وارتدت فوقه "سويتر" طلبا لمزيد من الدفء . لم يكن هناك احتمال لأن يراها أحد في ذلك القميص على الأقل ..

فور أن اضاء اليوم بما يكفي ، توجهت إلى الحقل . كان الوقت لا يزال مبكرا لفحص نماء الأزهار التي كانت في حاجة إلى الشمس ، كي تضفي عليها دفئها قبل أن تستطيع "رو" فحصها . وإزاء قلقها مع إرهاقها في ذات الوقت ، توجهت إلى المخزن وبدات إعداد ما قطفته في اليوم السابق للتجفيف وفور أن بدات العمل اصبحت مستغرقة تماما فيما كانت تفعل كعادتها دائما حتى أن انين "هوراشيو" المعبر عن سعادته وتعرفه على القادم لم يزعج تركيزها الشديد حتى كان الأوان قد ولى .

سقط ظل عبر مدخل الباب فحجب الشمس المبكرة لحظيا .. رفعت راسها ، وارتعدت معدتها توترا ، عندما تعرفت على شخص زائرها .

سالته باقتضاب وقد تيبس جسدها رفضا وخوفا :

- "ماذا تريد ؟"

رات حاجبيه يرتفعان وابغضت اللهو الذي أضاء عينيه وهو ينحني ليداعب "هوراشيو" . قال مخاطبا الكلب بتفكير :

- "يبدو أن سيدتك في مزاج سيئ هذا الصباح . وإني أتساءل عن السبب ؟

الهبت النظرة التي رمقها بها وجهها . كانت في حالة غليان ذهني فاشاحت بوجهها بعيدا عنه ، كم انه أشبه بالرجال في ظنه وان عدم استقبالها إياه بذراعين مرحبتين في الليلة الماضية ستجعلها حتما تعاني مشاعر الندم واليأس الجنسي .

سالته بنبرة شرسة :

- "لماذا جئت إلى هنا ؟ إذا كان بشان الأرض فسبق لي أن اخبرتك.."

قاطعها بهدوء :

- "لا علاقة لمجيئي بالأرض . اردت أن اتحدث معك بشان الليلة الماضية .."

فضحتها عيناها على الفور ، فتغير لونهما تفهما وخوفا . مد يدا يلمسها بها ، ثم - وكما لو كان قد أعاد التفكير في الأمر - تركها

www.elromancia.com

تسقط على جانبه ..

اجابته بحدة :

- " ليس ثمة ما تتحدث عنه . "

لو انه يمضي - ولكنه كان كبير الحجم جدا ، ومفعما بالرجولة إلى حد يحول دون أن تحمله على ذلك . يحب الرجال استثمار تميزهم الجسماني للسيطرة على النساء - هذا ما قالته لنفسها بمرارة - وقد تعلمته من علاقتها بـ"چوليان" .

ثم اضافت مسرعة :

- " إنك تنتهك حرمة بيتي ، ومن خلال زاويتي عينيها رات فمه يتيبس قليلا ، ثم سألها بهدوء :

- " ما السبب في أنك عدوانية تجاه الرجال ؟"

كادت عجرفته وجراته تسلبانها انفاسها . التفتت إليه وقد أعادت الأزهار التي كانت ممسكة بها إلى موضعها ، بينما انقبضت يداها عند جانبيها ، وهي تخاطبه بضراوة :

- " كنت اظن أن لك من الذكاء ما يساعدك على الإجابة عن هذا السؤال ! اتيت إلى هنا طالبا مني أن أبيعك أرضي حتى بعد أن اخبرتك ، بانني لا أعتزم ذلك ، ثم تدعوني إلى بيتك بادعاءات زائفة ، ثم ولم تفلح اي من خططك تحاول أن تدفعني إلى أن أعطيك ما تريد باللجوء إلى المحاولات الساذجة التي ... "

وقاطعها برقة قائلا :

- " والآن اسمحي لي بدقيقة واحدة . لنفترض انني اردت شراء أرضك ، وانني لن اكون رجل الأعمال الناجح إذا ما استسلمت على أثر فشلي في الجولة الأولى . لكنك مخطئة تماما فيما يتعلق بما حدث في الليلة الماضية . إنك تستخدمين عداءك في إخفاء مخاوفك . "

أذهلها تفهمه حقيقة مشاعرها . " وإني أتساءل : هل انا فقط من يخيفك إلى هذا الحد ؟ أم أن الرجال بصفة عامة ؟"

دققت "رو" النظر إليه دون أن تنطق بكلمة واحدة .. لم يكن باستطاعتها أن تقول كلمة واحدة ، بدت عضلات حلقها وكانها قد شلت تماما ، وساقاها قد تحولتا إلى ما يشبه بمادة هلامية بتاثير الذهول ، حتى أنها اضطرت إلى التشبث بالمنضدة حتى تتحاشى الانهيار . كان ينظر إليها رأسا ، ولم يسمح انتظام نظرته الهادئ لها

بتحويل بصرها عنه ..

رات "رو" في اضطرابها انه كان يثبتها في مكانها . يحاول أن يضعفها ، وان يقرأ ما يدور بذهنها حتى يقهرها برجولته بنفس الأسلوب الذي فعله بها "چوليان" يوما ما . بدا وكان دهرا قد انقضى قبل أن يلين ، ويسمح لها بتحويل بصرها عنه ، وبمثل المعجزة ، وبينما تفعل ذلك استرخت عضلاتها واصبح بوسعها أن تنفي ما قال:

- " لست خائفة منك " ..

قال بنبرة واجمة أكثر منها أسلوب فوز :

- " لا ؟ "

ثم اتخذ خطوة نحوها ..

تحركت "رو" غريزيا إلى الخلف ، حتى أحست بصلادة النتوءات المعدنية للمنضدة ، وهي تعمل في عمودها الفقاري..

قال بلهجة ساخرة وهو يراقبها :

- " اكذبي عليّ إن شئت يا "رو" ، لكن إياك أن تكذبي على نفسك " .

فاجابته كذبا :

- " لا أكذب .. أعلم انك تريدني أن أخافك . تريد أن تضغط عليّ حتى ابيعك أرضي . أعلم أي نوع من الرجال انت .. إنك مثل "چوليان" تماما.

تحرك بسرعة لم تدع لها وقتا للفرار مطوقا إياها بحجم وحرارة جسده ، وهو ينحني نحوها واضعا يديه على كلا جانبيها فوق منضدة العمل ، بحيث لم يصبح لها سبيل للفرار ..

- " سئمت دائك على القول بانني مثل زوجك ، وهي مقارنة لا تنطوي على أية مجاملة ، أليس كذلك ؟ أليس كذلك ؟ "

ولما لم تجبه سألها :

- " أم أن الأمر أن جميع الرجال في نظرك مثله يا "رو"؟"

كان للحنو المفاجئ في صوته أثر غريب عليها . جف حلقها إلى حد الألم فجاة ، وضاق صدرها بما لو لم تعلم جيدا لظنته دموعا لم تذرف حتى عينيها أصيبتا بجفاف وخشونة ، اضطرت إلى أن تقاوم رغبة في دعكهما كطفلة صغيرة .

استطرد "نيل" قائلا بصوت أكثر رقة وحنانا :

- " إنني آسف لما فعله بك . واضح انه قد أساء إليك بوحشية جسديا وعاطفيا على حد سواء .. لا أنكر أن هناك رجالا من هذا النوع ، ولكنني لست واحدا منهم . وإذا لم تستطيعي أن تتعرفي على ذلك بنفسك . فلربما أن الوقت قد حان ليعلمك أحدهم كيفية التفرقة بين الرجال .. "

فصاحت "رو" في وجهه قائله .

- " لست بحاجة إلى أن أتعلم شيئا .

قالت ذلك بدافع من خوفها من الضعف الذي أحسته في اللحظة التي رقت فيها نبرات صوته ودفعتها إلى توجع داخلي على نحو لم تعهده من قبل وجعلها تتوق إلى أن تمد إليه يدا تتحسس بها قوته وكشفت لها عن حساسية مخيفة بداخلها ، لم تحلم أبدا بوجودها ، وحاربتها مثل حيوان حبيس مذعور .

قال :

- " أتعتقدين ذلك ؟ "

وتحول صوته إلى خرخرة حسية ، بينما امتد نظرته إلى فمها ، لدهشة "رو" أنها شعرت بأن فمها بدأ يرتعد أرادت دفعه بعيدا عنها وتلوذ بالفرار من حضرته ، ولكنها خشيت ما قد يـ مخاطرتها بأي تلامس جسدي بينهما .

قال مذهلا إياها إلى حد السكون :

- " جئت إلى هنا صباح اليوم كي أعتذر لك عن إخافتي إياك في الليلة الماضية ، ولأذكرك بأنك لم تسد لي بعض النصح فيما يتعلق بالجناح الخاص بوالدتي " ..

كادت "رو" ألا تصدق أذنيها هل كان يتصور حقا ، أن من الممكن أن تخدع بهذه الحيلة الحمقاء مرة ثانية ؟

أجابته بنبرة فاترة :

- " أخشى أن يحول ما لدي من الارتباطات في الوقت الحالي دون قيامي بهذه المهمة . ما أنت بحاجة إليه حقا ، هو مصمم ديكورات منزلية ، وبوسعي أن أرشدك إلى مصممة ديكورات متميزة ، تعيش في هذه الناحية " .

أدارت ظهرها إليه ، وبحثت فوق المكتب عن الورقة والقلم اللذين تحتفظ بهـا في متناول يدها دائما . أحست بالتوتر يسري في

جسدها لشعورها بأنه يقف خلفها . دونت له عنوان "هنا" ، ورقم تليفونها ، ثم التفتت نحوه ثانية ، كي تقذف إليه بالورقة .

أخذها منها قائلا بصوت هادئ منذر :

- " تعلمين - لم أكن لأتصور أبدا ، أنك على هذا القدر من الجبن يا "رو" .. "

- " الجبن ؟ "

واتقدت عيناها غضبا ورفضا .

- لا أتصف به " .

فاجابها بنبرة رقيقة :

- " بل أنت كذلك ، إنك جبانة ، تخشين مواجهة الحقيقة والحياة ، وهذا هو سبب تشبثك اليائس بهذا الكوخ وهذه الأرض ، لأنك بدونهما تصبحين سلحفاة بدون ورقتها . لكن "رو" بادرته قائلة باسلوب غاضب:

- " لا ، هذا ليس حقيقة . " وبدا "هوراشيو" يعوي مستشعرا أساها ..

قال "نيل" بصوت ينطوي على التحذير أثار أعصابها ولفت إليه نظرها ..

- " لا شك في أنك تعلمين أن العزلة عن بقية البشر يمكن أن تكون في مثل خطورة المجازفة بالآلام العاطفية من خلال التورط فيها ؟ "

كان قد سألها ذات مرة عما إذا كانت تجد في عزلتها في هذا الكوخ ما يخيفها ، وكانت قد أجابته بالنفي ، وكانت تلك هي الحقيقة ، لكن الآن سرى فيها ارتعاد إدراك . قالت له بوضوح :

- " لست معرضة هنا لأية أخطار " ..

نظر إليها طويلا قبل أن يجيبها بنبرة جافة :

- " إذا كان هذا ما ترينه حقا ، فأنت أكثر بعدا عن العالم ، مما ظننتك . احذري الإطالة في القيام بدور الجمال النائم يا "رو" . قال يحذرها ، بينما كان يتخذ خطواته مبتعدا عنها ، ليتجه إلى الباب . "لأنك عندما ترغبين في أن تستيقظي ، قد تجدين أن الوقت قد تأخر جدا " ..

ومضى قبل أن تجيبه .

ظلت حيث كانت مدة نصف ساعة أخرى ، لكن تركيزها على عملها لم

يصبح متصلا بضع دقائق اخرى كادت أناملها المدربة تتوقف عن العمل فجاة مما جعلها تحس بموجة خوف مفاجئة وانها واقفة تنظر إلى لا شيء ، بيما كان ذهنها مشغولا تماما بـ"نيل ساكستون" إلى الحد الذي يجعلها شبه غافلة عما يحيط بها.

نفد صبرها ، واشتد غضبها مع نفسها ، فدعت "هوراشيو" وتوجهت إلى الحقل . كانت شمس الصيف الحارة قد جففت ضباب الصباح الباكر من فوق شجيرات الأزهار التي كانت مستمتعة بحرارة الشمس ، بما كاد يكون استساغة حسية لها .

لمست البتلات القطيفية لزهرة قاتمة الزرقة متسائلة لماذا لم تلحظ قبل الآن مثل هذا الانتشاء بحرارة الشمس ، لم تكن بحاجة إلى مثل هذه الافكار قبل أن يفرض "نيل ساكستون" نفسه على حياتها . وأصابها هذا الإدراك بعدم ارتياح . وبغض النظر عن تمنياتها لم تكن الأزهار مهياة للقطف بعد .

كان لديها من العمل ما يمكنها أن تشغل نفسها بدائه ، إلا انها شعرت لسبب لا مبرر له بعدم الاكتراث حال دون أن تقوم باي عمل. وفي وقت لاحق من المساء عندما تبدأ الشمس رحلتها إلى المغيب سيكون عليها أن تقوم بعملية ري المزروعات . أما الآن ...

عادت إلى الكوخ مدفوعة بنزوة مفاجئة لتفتح مجمد ثلاجتها وتخرج منه فطيرتي فاكهة كانت قد اعدتهما في الاسبوع السابق. قطفت بعض الاعشاب النضرة من الحديقة وصحبة جميلة من الأزهار، ثم اتجهت إلى الباب الخلفي - بعد أن أخبرت "هوراشيو" انه لن يكون بوسعه الذهاب معها في هذه المناسبة - حاملة سلة مملوءة بتلك الأشياء التي جمعتها معا بداخلها . كان مقصدها أحد الأكواخ في الصف الواقع على الشارع الرئيسي للقرية ، كان والدها قد اشترى ذلك الكوخ من أجل مديرة منزله ، عندما اعتزلت العمل . عندما استقلت "رو" سيارتها متجهة إلى القرية ساورتها مشاعر التقصير ، انها لم تات لزيارة السيدة "داكري" منذ شهر تقريبا . وبصفتها ارملة لا ابناء لها كانت مولعة بـ"رو" إلى حد كبير . وعلى الرغم مما كان لها من الجيران الطيبين بالقرية إلا أن "رو" حرصت على أن تبقى وثيقة الصلة بها بقدر استطاعتها .

كانت القرية هادئة مشبعة بالدفء والشمس . بعيدة عن الطريق

المطروق بما لا تصلح معه لأن تكون منطقة جذب سياحي . ظلت على ما كانت عليه على مدى مائة عام تقريبا: مجموعة من الأكواخ الصغيرة المصطفة على كلا جانبي شارع القرية وحدائقها الأمامية الصغيرة تشكيلة من الأزهار الجميلة . كانت هذه المنازل في وقت ما بيوتا لعمال العزبة الزراعية الشاسعة . والرقع الزراعية الواقعة خلف الأكواخ كانت في ذلك الوقت تنتج الخضر التي تكفي أسر العمال ، على مدى العام كله . اما الآن فالبعض القليل منها ما يستخدم لهذا الغرض ، إذ إن معظم شاغلي تلك المنازل من كبار السن ، بينما أن أسرهم قد كبرت منذ زمن طويل .

كان العمل قليلا في الساحة المجاورة ، وبينما أوقفت "رو" سيارتها وتركتها تنتظر هناك تساءلت باسى عما إذا كان إتمام طريق السيارات الجديد ، سيحول القرية إلى ضاحية خاملة إضافية تابعة للمدينة .

سارت حول الجهة الخلفية لصف الأكواخ ، وهي تعلم من خلال خبرة سابقة أن السيدة "داكري" ستصاب بالذعر ، لسماع من يقرع الباب الأمامي للكوخ . وجدت السيدة المسنة في مقعدها بالحديقة الخلفية . رغم وصولها إلى السبعين لم تزال هذه السيدة تعتمد على نفسها تماما . استاءت قليلا عندما رات السلة التي حملتها "رو" إليها.

بادرتها "رو" مبتسمة :

- " لن تكون فطائري أبدا في مثل جودة ما تصنعين منها . لكنك ذكرت لي في المرة الأخيرة التي جئت فيها لزيارتك انك لا تهتمين بصنع فطيرة طالما ستكون من أجلك فقط . وحيث إنني كنت أعد بعض الفطائر على أي حال ... "

فاجابتها مسز "داكرى" بنبرة حانية :

- " نعم . من الصعب أن يعد المرء طعاما لنفسه فقط . في الوقت الذي اعتاد فيه إعداده من أجل آخرين أيضا. افتقد إعداد الطعام لوالدك . طالما استساغ طعامي نعم مستر "لايقسي" كان ذواقا ".

رات التعبير الذي لاح على وجه "رو" فقالت بنبرة شابها بعض الحدة :

- " في ايامي كانت الفتاة تنشا للعناية باقربائها من الرجال ، ولاارى عيبا في ذلك . من المؤكد انني أعلم أن الأمر مختلف هذه الأيام ".

أوحى الأسلوب الذي قالت به ذلك ، والتعبير الذي لاح على وجهها أنها لم تكن محبذة تماما ذلك الاختلاف ، لكن "رو" عملت على تهدئة مشاعرها حتى اتجهت إلى مطبخها الصغير لتعد قدحا من الشاي لكلتيهما .

أصغت "رو" بانتباه غير مكتمل ، بينما أخذت السيدة "داكري" تتحدث عن بعض أحداث القرية ، حتى قالت السيدة العجوز بنبرة حادة منبهة :

- " أصبح لديك جار جديد إذن ؟ سمعت في مكتب البريد أن شخصا جديدا قد انتقل ليعيش في المنزل الكبير . التقيت به بعد؟"

وأجابت "رو" :

- لقاء قصير فقط ."

بينما كانت "رو" تعلم أن القرية ربما كانت على علم بزيارة "نيل" لها من خلال ذلك الأسلوب الفريد الذي تنتقل به الأنباء داخل القرى .

وعلقت السيدة "داكري" بقولها :

- " ممم ... سمعت أنه غير متزوج ، بينما كانت تنظر إلى "رو" توقعا..

وأجابت "رو" بفتور :

- " لا أعتقد ذلك ."

ثم ، وإذ رات النظرة التي لاحت في عيني مديرة منزل والدها السابقة ، أضافت بنبرة حازمة :

- " أتى لزيارتي ، وليسألني عما إذا كان لدي استعداد لبيع أرضي إليه ."

- " أي . حسنا ، سيكون بحاجة إليها . أليس كذلك ؟ على اعتبار أنها كانت يوما ما تمثل جانبا من الممتلكات ؟ وهذا يذكرني لابد أنك قد سمعت أن "بيل چينينجز" قد باع قطعة من أرضه إلى ذلك المقاول الذي كان قد تقدم إليك لشراء أرضك" ..

كان "بيل چينينجز" يمتلك ويزرع المزرعة الملحقة بـ"الكورت" يوما ما .

استطردت السيدة "داكري" قائلة :

- " إنها الأفدنة العشرة التي باعها كما سمعت ، وعمق تقطيب "رو" فقد كانت تلك العشرة بضعة حقول أحد أركانها مع حدود أرضها .

سألت :

- " وكيف يتسنى للمقاول الوصول إليها ؟"

حقيقة أنه كان هناك مقلب نفايات مجاور للمزرعة ، إلا أنه لم يكن موصلا على نحو مباشر بقطعة الأرض التي يبدو أن المقاول قد حصل عليها ، وإذا كان يخطط جديا للبناء عليها ، فمن المؤكد أنه سيكون بحاجة إلى وسيلة توصيل ما بالطريق الرئيسي . عمق تقطيبها عندما تبينت فجاة أن أيسر السبل تكون من خلال "كوخ الكرمة" ذاته .

استطردت السيدة "داكرى" تقول :

- " ليس في حاجة إلى من يخبره ، بأنه قد ابتاع لنفسه مازقا ، فلا جدوى له من هذه الأرض على حالتها الراهنة . لأنه لا سبيل له إلى دخولها ، أو الخروج منها بسلوك الطريق على أقل تقدير . و"بيل" غير سعيد بهذه الصفقة . يقول :

- إنها أسوأ قطعة أرض بالمزرعة ."

ظلت "رو" في زيارة السيدة العجوز مدة نصف ساعة أخرى ، ثم لاحظت أن مضيفتها بدأت تشعر بالتعب ، فودعتها ومضت عائدة إلى سيارتها .

بدا لها غريبا أن يبتاع المقاول قطعة الأرض تلك التي لا مداخل ولا مخارج لها ، ثار عليها عندما رفضت أن تبيع له بيتها ، وحقلها وفاقت ثورته في كثير من النواحي ثورة "نيل ساكستون" هذا ما تذكرته الآن بدهشة مفاجئة . ومع ذلك لم تابه بشيء ، ولم تشعر حتى بمقدار عشر المخاوف التي تعانيها الآن .

لا . لم تكن الرغبة في امتلاك بيتها وأرضها ما يخيفها إلى هذا الحد من "نيل ساكستون" . بل ما كان يخيفها هو الرجل نفسه . طرحت هذه الفكرة جانبا ، وقادت سيارتها متجهة إلى بيتها .

رحب "هوراشيو" بها مبتهجا حيث ظل ملتصقا إلى جانبها عندما اصطحبته للتمشي المعتاد . عندما عادت به إلى الكوخ كان ناقوس الهاتف يدق . رفعت "رو" السماعة غير راضية ، وسرعان ما عاتبت نفسها على اعتقادها الأحمق بأن المتحدث لابد أن يكون "نيل" عندما سمعت صوت صديقتها "هنّا" التي بادرتها تسأل :

- " هل تفعلين شيئا الليلة ؟"

www.elromancia.com

أجابت "رو" التي اعتادت خطط صديقتها النزوية المفاجئة :

- " تمزحين . أليس كذلك ؟ تعلمين أي وقت من العام هذا على ما أمل؟"

أجابت "هنًا" مؤكدة :

- " نعم . نعم أعلم . لكن من المؤكد أن بوسعك أن تمنحي نفسك إجازة من العمل هذه الليلة ؟ إنك تغالين في إرهاق نفسك بالعمل يا "رو" ...

أجابتها "رو" غائظة :

- " انظري من التي تقول هذا !"

لكن "هنًا" قاطعتها :

- " لا . لنتحدث بجدية . منذ متى لم تحصلي على أمسية من قبيل الراحة من العمل ؟"

تساءلت "رو" عما قد تقوله صديقتها . لو أنها أقرت لها بالحقيقة . ثم تساءلت مرة أخرى وبشدة عن السبب في أنها لم تذكر لصديقتها شيئا عن دعوة "نيل" إياها إلى العشاء . أو ما انطوت عليه تلك الدعوة.

- " انظري - أريدك أن تأتي للعشاء فقط . ولن تضطري إلى البقاء حتى ساعة متأخرة . سيكون عشاء عمل . وأعتقد أنني ساكون في حاجة إلى معونتك . ولن أقول : إنه ربما أسفر الأمر عن شيء لك"

بدأت "رو" تقول :

- " أخبريني بالمزيد " . إلا أن صديقتها رفضت إلا أن تقول :

- " لا يمكنني الآن . إنني أحاول قدر استطاعتي ترتيب المنزل وإعداد شيء للعشاء . أخبريني فقط بأنك ستأتين "وجدت "رو" نفسها توافق على الذهاب مدفوعة بإراء "نيل" أنها في أنها تعيش منعزلة عن سائر البشر . وأنها مشغوفة بأن تتلافى أية اتصالات بها .

فقالت "هنًا" :

- " من الثامنة إلى الثامنة والنصف إذن . وقد ارتفع صوتها إلى صيحة . بينما سمعت "رو" صوت تهشم شيء ما يدوي عن بعد. وهنا قالت "هنًا" قبل أن تودعها وتعيد السماعة إلى موضعها " لو كان هذا أحد أطباق العشاء المتميزة فساشنق الطفلة الصغيرة".

كانت "رو" تبتسم عندما وضعت سماعة هاتفها فكانت تعلم مدى حب "هنًا" لطفلتها الصغيرة على الرغم من إظهار ضيق بها أحيانا

كانت الطفلة جذابة مسلية . أحست "رو" بشيء يقبض على قلبها عندما تذكرت كيف تسلقت ابنة "هنًا" الصغيرة حجرها تعانقها بشغف هناك شيء ما يتصل بحمل وزن واثق لطفل ما في ذراعي المرء ...

لامت "رو" نفسها على الاستسلام لتلك السلسلة من الأفكار العاطفية لو كانت ستذهب إلى العشاء . فعليها أن تنجز العمل الذي كانت قد بدأته ذلك الصباح . وهو ما يعني قضاء ساعتين من العمل الجاد بسقيفة التجفيف ..

ذهب "هوراشيو" معها إلى هناك . فكان يتبعها أينما ذهبت . بشرط أن تسمح له بذلك . وباستثناء الأوقات التي كان يختفي فيها بين الحين والحين . عندما لا يقوى على مقاومة إغراء الأرانب التي تكاثرت وانتشرت في متنزه "الكورت" دائما ما عاد من مثل هذه الغزوات المخفقة لاهثا تلوح في عينيه أمارات الذنب . كما لو كان يشعر بان عليه أن يعتذر عن تركه إياها ..

وبتقدم وقت ما بعد الظهيرة بدأ الهواء يسكن والحرارة تشتد . رأت "رو" بمزيد من القلق أن الجو أصبح شديد الحرارة لا سحابة واحدة في السماء . وإن كانت الشمس قد اكتست بلون نحاسي مما جعلها تعتقد أن النشرة الجوية قد تثبت صحتها تماما . من المحتمل أن تقضي طوال يوم غد في قطف أزهارها بغض النظر عما إذا كانت مناسبة للقطف، أو غير ذلك . إما ذلك . وإما المجازفة بفقدها جميعا إذا ما وصلت العواصف الرعدية مبكرة . في مثل تلك الأوقات كانت تتمنى بصدق لو أن لها من يشاركها المسؤولية والقلق إزاء اتخاذ القرار الصحيح . لكن لم يكن لها مثل ذلك الشخص . وحاولت مع ذلك وهي في طريقها إلى سقيفة التجفيف بان تقتنع بانها أفضل حالا على هذا الوضع.

وعلى ضوء تناولها بعض الطعام مع السيدة "داكري" مع يقين علمها بان "هنًا" مضيفة متميزة قررت ألا تعد وجبة لنفسها . وظلت تعمل على نحو متصل من الخامسة حتى ما بعد السابعة بقليل ثم تبينت فجاة انه لم يتبق لها من الوقت للاستعداد إلا القليل . كان جهاز الري المكلف الذي عملت على تركيبه في الربيع السابق . قد بدأ الآن يثبت قيمته الحقيقية . فقد كان عظيما أن تضمن فور فتح صنبور ما أن المحصول كله قد تم ريه . بعد أن كانت عملية الري فيما سبق تنطوي

على ساعات من العمل المضني ، وحمل جميع الدلاء المملوءة بالماء من اقرب صنبور ، وكان ذلك عندئذ في الحديقة المحوطة بالجدران .

كلفها الجهاز الجديد مبلغا طائلا من المال ، وكان ذلك احد اسباب شغفها الشديد أن يكون محصول الموسم الحالي جيدا . كان حسابها بالبنك ضئيلا إلى حد الخطورة ، إذ أصبح توفير المال بالنسبة إليها منذ وفاة "چوليان" مصدرا دائما للقلق وعلى الرغم من أنه لم يصبح عليها الآن اي من ديون "چوليان" الطائلة التي تثير همومها ، إلا أنها لاتزال تعاني بعض ليالي القلق التي تستلقي فيها مستيقظة تجري الحسابات في ذهنها .

لو خسرت محصول هذا الصيف ... أجابت بحزم تؤكد لنفسها، انها لن تخسره . العاصفة غير متوقعة لمدة يومين آخرين ، مما يتيح لها فرصة قطف الأزهار حتى لو كان ذلك يعني حصادها قبل الموعد ، الذي كانت ترجو ان يتم الحصاد فيه بقليل .

تركت جهاز الري بالرذاذ يعمل ، وأسرعت إلى الحمام بالطابق العلوي . رقد "هوراشيو" فوق الأرضية خارج الباب يصدر انين اعتراض . كان يعلم جيدا انها تستعد لمغادرة البيت ، ودائما ما لجا في مثل هذه الظروف إلى تبني أسلوب الحيوان المهمل من صاحبه ذي القلب الغليظ .

تجاهلته "رو" تماما ، وقد اعتادت هذه الحيل من جانبه . كان الجو حارا لا يناسب ارتداء الثوب الأسود المعد من القطيفة لكن لم يكن لديها شيء غيره . انزلق بسهولة فوق جسدها والبطانة المصنوعة من الستان تتلمس جلدها بمثل التمسيد توترت إزاء هذه الفكرة حتى انها نظرت مسرعة من فوق كتفها كما لو كانت تتوقع أن يتجسد "نيل ساكستون" بجانبها .

اللعنة على هذا الرجل .. لماذا يظل يتدخل في أفكارها هكذا ؟ انطلق الناقوس المؤقت الذي دائما ما كانت تضبطه عندما تقوم بعملية الري، بينما كانت تستبدل ثيابها . لم يزل شعرها مبللا ينسدل فوق كتفيها، وحول وجهها في خصل صغيرة ، كما لو كان ابتهاجا لتحرره من نمط ذيل الفرس المقيد المعتاد . كانت تصففه عند خروجها من المنزل على هيئة كعكة أنيقة الالتواء ، على اعتبار أن الشعر الطويل الذي يترك منسدلا متدفقا يليق بالفتيات ما دون الحادية والعشرين ، دون النساء

البالغات الخامسة والعشرين ، وهي وجهة نظر طالما تمسكت بها رغم ضحكات "هنًا" الصاخبة إزاءها عندما ابلغتها "رو" بها . كانت "هنًا" قد أجابتها قائلة:

- " ما عليك إلا أن تشاهدي التليفزيون حتى تري كم من نساء جاوزن الثلاثين - بل والأربعين - يصففن شعورهن الطويلة ، تاركات إياها تنسدل بحرية جذابة وشعرك جميل جدا ، ولا تعلمين مدى حسن حظك ليكون شعرك اشقر طبيعيا " .

أجابتها "رو" بوجوم عندئذ بانه لو كان لها بعض الحس السليم لعملت على قصه ، لكن طوله يساعدها على الاقل على جمعه إلى الخلف وتثبيته بما لا يعوقها .

داعبه نسيم المساء عندما خرجت إلى الحديقة مسرعة إلى الصنبور المفتوح . لم تكن قد رأت "نيل" حتى كادت تصطدم به تقريبا . ويداه اللتان امتدتا لتساعداها على حفظ توازنها جعلتاها تلهث ذهولا ، وقد اتسعت عيناها واشتد بريقهما في ذلك الوجه الذي شحب فجاة .. وكما لو كان ذهولها قد انتقل إليه عن طريق جسدها ، تحركت أصابعه بحنو فوق كتفيها كما لو كان يربت عليها مهدئا .

قال يعتذر :

- " أخفتك . أسف . لم أعن ذلك "

سالته "رو" متخذة خطوة إلى الخلف ، مبتعدة عنه ومدركة رغما منها ارتعاد الأحاسيس الرقيق الذي سرى في جسدها.

تبينت انه يرتدي حلة مساء فقالت مسرعة :

- " إذا كنت قد جئت إلى هنا لتحاول إقناعي بتناول العشاء معك ، فانت تضيع وقتك ، لانني قد ارتبطت بموعد آخر ".

وأجابها بهدوء :

- " أعلم ".

كانت "رو" على استعداد لأن تقسم على أن الضحك كان يتراقص في عينيه . ضحك وعلى حسابها . شعرت بجسدها يزداد حرارة ، وبغضبها يتزايد ، لم تحب أن تكون مثار ضحك لأي إنسان وبخاصة إذا كان ذلك الإنسان هو "نيل ساكستون" .

- " ولهذا جئت ".

وقبل أن تنطق بكلمة واحدة أضاف : "جئت لمرافقتك "

- "ماذا؟"

فاجاب موضحا :

- " صديقتك "هنًا" مصممة الديكورات التي أعطيتني رقمها الهاتفي دعتني إلى العشاء ، وسالتني عما إذا كان لا يضايقني ان أمر بك ، وأصطحبك إلى هناك في سيارتي "

كادت "رو" تستشيط غضبا . لاح لها أكثر من إجابة جارحة ، ونفي غاضب أنها بحاجة إلى أن يفعل من أجلها شيئا ، لكنها تبينت على الفور أن غضبها سيزيده رضا متكاسلا .

أجابته بحدة ملتجئة إلى أول الأعذار التي لاحت بذهنها :

- " لست متاهبة بعد . لماذا لا تذهب بدوني ؟"

ارتفع حاجب قاتم بينما أجابها قائلا :

- " وأجعل "هنًا" وزوجها يعتقدان أنني لست بالرجل المهذب ؟"

داعب النسيم شعرها بأصابع دافئة دافعا خصلاته نحو الأمام لتحتك بكتفيها . مد يدا لمس بها شعرها وهو يبتسم على نحو غريب ويقول :

- " شعرك جميل . "

وعندما كادت تخطو مبتعدة عنه مد إصبعا من خلال الخصلات الثائرة بحركة ودية جعلت معدة "رو" تتقلص اهتياجا.

عندما أطلق تلك الخصلة من شعرها التي كان قد سبق له لفها حول إصبعه بما كاد أن يكون حيا قال بنبرة رقيقة :

- " لا يضايقني أن أنتظر حتى تتاهبي " ..

اتخذت "رو" خطوة إلى الخلف مبتعدة عنه يتنازعها الغضب والخوف ليس من حقه أن يفرض نفسه على حياتها على هذا النحو ، وأن يفرض عليها وجودا لم ترغب فيه - وماذا كانت "هنًا" تعتقد أنها تفعل بها ؟ لديها ما تقوله لصديقتها على انفراد .

تراجعت "رو" إلى داخل المنزل وهي تعلم أن ليس هناك شيء واحد يمكنها أن تفعله . اللهم إلا أن ترفض الذهاب إلى حفل العشاء بصفة قاطعة . مثل طفلة غير مبالية . وحالت الأخلاق الحميدة التي غرست فيها بفضل أسلوب التنشئة العتيق دون أن تفعلا . وتطيل وقت الاستعداد عمدا . حتى يضيق الرجل المنتظر إياها بالطابق السفلي ذرعا ، وينصرف بمفرده . لن يكون مثل هذا التصرف عادلا لـ"هنًا"

ومهما كان غضب "رو" من صديقتها فلن تسمح لنفسها أبدا بإفساد حفل عشائها ، بأن تصل متاخرة إليه.

كل ما استطاعت أن تفعله وهي تستقل مقعدها بالسيارة وتنتظر انضمامه إليها هو أن قالت ببرود شديد :

- " أمل أن تكون واثقا بأن شيئا من هذا ليس من تدبيري"..

www.elromancia.com

الفصل الخامس

حيتهما "هنًا" باسلوب مرتبك قليلا ، رات "رو" ان لا غرابة في ذلك ، إذ رمقت صديقتها بنظرة مفعمة بالمعاني لتخبرها بمدى دهشتها ان قدم لها مرافق .

- " عندما أخبرتني بانك تقيمين عشاء عمل ، لم تكن لدي ادنى فكرة عن ان "نيل" هو العميل المرتقب "..

أجابتها "هنًا" بابتسامة غامضة حلوة قائلة :

- " لا ، حسنا ، لا أعتقد انك كنت لا تعلمين . اه . ولم اشكرك بعد على موافاته باسمي .. دعاني للذهاب إلى المنزل في اول فرصة تتاح لي فيها بعد ظهيرة لا عمل فيها . يبدو انه يرغب في ان اقوم بتنظيم جناح من عدة حجرات من اجل والدته التي تعيش في "برايتون" ولكنها تاتي لزيارته عدة مرات خلال العام "

ثم اضافت بينما اصطحب زوجها "نيل" إلى الخارج نحو الحديقة ليطلعه على التقدم الذي يحرزانه بخططهما لتركيب حمام سباحة :

- "اخبرني بان هذا هو اول منزل مناسب يمتلكه .

كان المنزل المشيد وفقا لطراز عصر الملك "جورج" .. الذي كانت "هنًا" وزوجها قد اشترياه خربا على قيد بضعة كيلو مترات خارج بلدة

السوق المحلي عندما انتقلت ملكيته إليهما . اما الآن فاصبحت كل حجراته دليلا خلابا على مهارة "هنًا" وقدرتها على اعمال التدبير المنزلي .

قالت "هنًا" معتذرة بينما كانت "رو" تتبعها إلى داخل المطبخ:

- " كان الوقت ضيقا حتى انه لم يكن باستطاعتي إعداد أكثر من وجبة عادية "

وسالتها "رو" :

- " ولماذا تثقلين على نفسك بإقامة حفل عشاء اساسا ؟

واضح ان "نيل" سوف يسند العملية إليك " ..

- " حسنا ، نعم . لكن عندما ذكر لي انه يعيش بمفرده ، وان وقته لم يتسع للاهتداء إلى مدبرة للمنزل ، تصورت كم انه يعاني الوحدة . اخبرني بانه لم يمكث في هذا المكان وقتا كافيا . بما يسمح له بالتعرف على الكثيرين من اهل المنطقة رغم انه لا يسعني إلا ان ادهش من موقفك "

وهنا تقوس حاجباها وهي تضيف " لم تذكري لي كلمة واحدة عن مقدم ذلك الجار الجديد "

هزت "رو" كتفيها وادارت ظهرها نحو صديقتها حتى لا تتمكن "هنًا" من ان تنظر إليها عن قرب ..

- " تعلمين ما يعنيه لي هذا الوقت من العام . آخر ما انا بحاجة إليه الآن هو الإزعاج ... "

وقاطعتها "هنًا" ضاحكة :

- " الإزعاج ؟ من رجل مثل "نيل" ؟ يا عزيزتي اعرف من النساء ما لا يقل عن العشرين ممن هن على استعداد لان يعطين اعينهن في مقابل ان يكون لهن رجل مثل "نيل" يتحرك في المنزل المجاور لسكنهن "

رات الأسلوب الذي زمت صديقتها به فمها فاعتذرت على الفور:

- " إني آسفة يا "رو" انسي أحيانا الأوقات العسيرة التي عشتها . لكن الرجال جميعا ليسوا مثل زوجك يا عزيزتي "

- " أليسوا كذلك ؟"

سالتها "رو" بنبرة ساخرة :

ـ أجيبي على وجه التحديد وبما تعتقدين : ما الذي جعل "نيل ساكستون" يوافق على ان ياتي بي إلى هنا الليلة يا "هنًا" ؟"

نظرت "هنًا" إليها بقلق ، ثم حولت انتباهها إلى صنف الحساء الذي كانت تسكبه في أطباق التقديم .

- " آه . لقد ... "

وقاطعتها "رو" بأسلوب ضار :

- " ليس بسبب افتتانه بي كما قد تظنين .. ارضي هي ما يريد لا جسدي . رغم علمي انه جدير بالتظاهر بانه لا يريد شيئا اكثر من أن ياخذني إلى الفراش ، لو رأى في ذلك ما يحملني على بيع ارضي له ".

- " آه . لا يا "رو" .. إني واثقة بانك تخطئين الظن به . جاءت نبرات تعجب "هنًا" ذاهلة . " لا يبدو لي انه من ذلك النوع من الرجال إطلاقا ".

رمقتها "رو" بنظرة سخرية ، ثم قالت بنبرة لاذعة :

- " جميعهم ذلك النوع من الرجال "

كبحت "هنًا" تنهدا طفيفا متبينة أن لا جدوى من الجدال مع "رو" . لانها هي شخصيا قد رأت أن "نيل ساكستون" شخصية خلابة ، وانه رغم عمق حبها لزوجها لم تفتها ملاحظة رجولة "نيل" الصارخة .

مسكينة هي "رو" قالت "هنًا" تحدث نفسها باسى ، بينما سمحت لصديقتها بمعاونتها في حمل أطباق الحساء إلى المائدة . لم تكن لديها أدنى فكرة عما كانت صديقتها تفتقده، لان "هنًا" نفسها كانت سعيدة الحظ في زواجها وبزوجها ، وفي كل شيء آخر في حياتها تقريبا . هكذا كانت تتامل ، بينما ذهبت تستدعي الرجلين من الحديقة..

أدهش "رو" أن الأمسية انتهت بسرعة جدا . هذا ما تبينته عندما رفعت جميع الأطباق من فوق المائدة ، ووضعت بمعرفة "نيل" و"توم فورد" في مغسلة الأطباق ، بينما كانت هي و"هنًا" تعدان القهوة وتحملانها إلى المستنبت .

قال "نيل" معلقا وهو ينظر استحسانا في ارجاء المنزل الفسيح الذي كانت "هنًا" قد صممت له ديكورات انيقة ونفذتها بكل عناية ومهارة :

- " اريد شيئا كهذا لمنزلي ، وشيئا كهذا في مستنبتي، سيبدو افضل من الاثاث الموجود به حاليا "

ثم نظر إلى "رو" يسالها :

- " الا ترين ذلك يا "رو" ؟"

صرت "رو" على أسنانها عندما رأت نظرة "هنًا" المفعمة دهشة . وزاد

ضيقها عندما استطرد "نيل" قائلا بنبرة مرحة:

- " دعوت "رو" إلى العشاء في الليلة الماضية . كنت بحاجة إلى رايها فيما يمكنني عمله لإضفاء قدر من البهجة على الجناح الذي خصصته لاستعمال والدتي ، ولكنها تفضلت بتوجيهي للاستعانة بخبرتك " ..

كان من الممكن أن تقتله "رو" وبخاصة بعد أن رأت التامل والفضول يومضان في عيني "هنًا". اتصفت هذه الصديقة برومانسية غير قابلة للشفاء ، ورفضت فكرة أن "رو" لن تفوقها سعادة في الزواج . لم تستطع "رو" أن تمنع نفسها عن الإجفال فوضعت قدح قهوتها فوق المنضدة ، وقالت على نحو مفاجئ :

- " يتعين عليّ أن امضي الآن . لانه لابد من أن استيقظ مبكرة في الصباح . التكنهات الجوية ليست جيدة جدا . فهناك تنبؤات بعواصف رعدية خلال اليومين القادمين ".

واجابت "هنًا" متعجبة تشاركها المشاعر :

- " اه يا "رو" في الوقت الذي لا تريدين فيه مثل هذه التقلبات الجوية . وماذا تفعلين ؟ هل سيمكنك جمع المحصول في وقت مناسب؟"

قالت "رو" مؤكدة :

- " نعم . اعتقد ذلك . رغم انه كان من الافضل أن تظل الأزهار على اغصانها مدة يومين ، او ثلاثة أيام أخرى .. "

لم تدرك إلى أي مدى كان صوتها فاضحا مشاعرها وتقوست كتفاها قليلا وهي تفكر في حجم العمل الذي كان عليها أن تنجزه.

سال "نيل" بنبرة حادة ليضع نهاية للصمت الذي ساد :

- ما المطلوب في هذه الظروف ؟ هل تستاجرين من يعاونك في جمع المحصول؟"

قالت "رو" مؤكدة :

- " كنت اعتزم ذلك لكن لا وقت الآن . غالبا ما أطلب من السيدة "دوسون" الموظفة بمكتب البريد أن تخبرني إذا كان من بين الصبية الذين يعيشون بالمنطقة من يرغب في تحسين مصروفه النثري ، لكن الآن في الوقت الذي اتوصل فيه إلى شيء من هذا القبيل ، سيكون الوقت قد ولى . كنت أمل أن يمتد هذا الطقس الجميل أسبوعا آخر ...

قالت "هنًا" :

- " كنت ساعرض عليك مساعدتي ، ولكن ذلك اصبح متعذرا في

www.elromancia.com

الوقت الحالي " .

هزت "رو" راسها متعبة :

- " لو سمحت لي باستخدام هاتفك لاستدعاء سيارة اجرة ... "

رات من خلال زاوية عينها "نيل" مقطبا ليقول بوجوم :

- " لا داعي إلى ذلك . ساصطحبك إلى بيتك . "

التفتت "رو" إليه محاولة أن تبقي صوتها وعينيها فاترتين في ظل إحساسها بتركيز "هنًا" واهتمامها بما كانا يتبادلانه من حوار. قالت له بنبرة رسمية :

- " انت و"هنًا" لديكما ما انتما بحاجة إلى مناقشته . "

تبادلت "هنًا" مع "نيل" نظرة تفهم متبادل من فوق راسها ثم قالت "هنًا" بعد ذلك باسلوب مرح :

- " اه . لا .. بوسعنا أن نناقش كل شيء انا بحاجة إلى الحديث فيه عندما اذهب لمعاينة المنزل . لانه لا جدوى حقيقية في ان اقول اي شيء حتى اعلم ما بذهن "نيل" على وجه التحديد - والمبلغ الذي اعتمده لهذا الغرض . " وضحكت إزاء هذه الإضافة الأخيرة .

اذعنت "رو" إزاء هزيمتها ..

تجاوزت الساعة الحادية عشرة بقليل . والجو لم يزل حارا بالخارج. عندما ودعا مضيفيهما احست "رو" ان "نيل" يقترب منها . فابتعدت عنه بإصرار . وعندما انتهت الأمسية شعرت بانها متعبة للغاية .. متعبة إلى حد لم يسمح لها بمعاتبته على الانطباع الذي تركه متعمدا على "هنًا" بان اخبرها بانهما قد قضيا الليلة السابقة معا . متعبة حتى انه عندما انزلقت السيارة في هدوء إلى خارج الممر الملحق بالمنزل شجعتها حركتها المريحة الهادئة على الاستناد إلى الخلف في مقعدها وإغماض عينيها .

نامت بمثل سرعة وعمق نوم طفل صغير . مما حدا بـ"نيل" إلى ان ينظر إليها بمزيج من العطف واللهو الماكر . التفتت نحوه في نومها مقطبة قليلا .

عندما وصل إلى الكوخ اوقف سيارته امامه . وظل يراقبها في صمت . مديده بعد بضع دقائق وحل حزام مقعدها . ثم ودون ان يزعجها سار إلى الباب المجاور لمقعدها وفتحه . ثم انحنى بداخل السيارة ورفعها إلى خارجها بسهولة شديدة، كما لو لم يمثل وزنها

اي عبء عليه إطلاقا .

استيقظت لحظة تقاوم ضباب النوم الذي هدد باسرها بينما سرى الذعر في عروقها . لكن اليدين اللتين لمستاها كانتا رقيقتين مما بدد مخاوفها . لم يكن لمسها ذلك الذي كانت تتذكره بالخوف والكراهية . حتى أن أساها هدأ تحت قبضتيهما الحانيتين فعادت مطمئنة إلى النوم .

كان "نيل" قد عثر على مفاتيحها . ففتح الباب واسكت اهتياج "هوراشيو" ثم حملها إلى حجرة نومها بالطابق العلوي . توقف قليلا عن اداء المهمة التي فرضها على نفسه وهي مهمة خلع ثوبها عنها . ووقف ينظر إليها .. إلى ذلك الجسد الصغير الرقيق . وتلك الروح الملتهبة التي لا تقهر ! لمس وجهها باطراف أصابعه . ستثور عليه في الصباح .

أبعد الثوب عن جسدها . ووقف ينظر إليها . كادت ملابسها الداخلية الا تخفي شيئا من مفاتنها . اتقد رغبة سرعان ما سيطر عليها بعد ما سترها بغطاء الفراش .

شعر بضيق شديد فهبط إلى الطابق السفلي . لم يتذكر مرة اثير فيها إلى هذا الحد فور رؤية جسد امراة . كان قد حملها إلى فراشها بوازع من سلامة النيات . لذا احس قسوة الازدراء إزاء ما راوده من إغراء . لان يمد يده ويمسدها .

اخرج "هوراشيو" خارجا وانتظر حتى طاف الكلب باسوار الحديقة وعاد إلى الباب الخلفي .. ثم تاكد من أن الاقفال كانت في موضعها . وكان موشكا أن يتوجه إلى الباب الامامي . وان يزلق المفاتيح في صندوق الخطابات عندما وضعها في جيبه بدلا من ذلك وقد لاحت على فمه ابتسامة ساخرة . وهو يعود متجها إلى سيارته .

استيقظت "رو" احسن حالا عما شعرت به منذ مدة طويلة . بدا جسدها متكاسلا مسترخيا فاتر الهمة . ناعسا غريبا عليها بشكل ما . كما لو كان به سر وإدراك حسي محرمان على ذهنها . عندما تمطت من تحت الغطاء تنبهت إلى انها لا ترتدي اكثر من ملابسها الداخلية المحدودة .

لاح بجبينها تقطيب ورات في ضوء ما قبل حلول الفجر ثوبها القطيفة موضوعا بعناية فوق المسند الظهري لمقعد حجرة النوم . بدا

شك طفيف يتسرب إلى ذهنها . لماذا أوت إلى فراشها نصف عارية ؟ قطبت محاولة أن تتذكر ما حدث .

كادت ألا تمس مشروبها على العشاء . حقيقة انها كانت متعبة جدا في الواقع .. تتذكر كم كانت تواقة إلى النوم في السيارة في طريق عودتها . سرعان ما ارتعدت منتصبة في فراشها تدقق النظر إلى النافذة في الوقت الذي بدأت الذكريات الغامضة غير المرغوب فيها تطفو إلى السطح .واحدة معينة منها رفضت أن تكبح.

شخص ما كان يلمسها ويمسدها بحنان أو هكذا بدا لها.

تذكرت أنها قد استشعرت أسى سرعان ما زال عنها عندما تبينت أن تلك اليدين اللتين كانتا فوق جسدها لم تكونا لزوجها المتوفى - ولكنهما كانتا يدي رجل .. علمت ذلك بما لا يدع مجالا للشك .

جلست فوق الفراش وذهنها يعمل ببطء . ركزت على أفكارها المشتتة، فعلمت أن "نيل" هو الذي لمسها .. "نيل" هو من حملها إلى فراشها وخلع عنها ثوبها . سرى في جسدها ارتعاد فاضح له فعل النار .

كاد الجو بالخارج أن يكون مضيئا .. لديها عمل تنجزه ولا وقت لإضاعته في التفكير في "نيل ساكستون" . وعلما منها بمشقة العمل التي تنتظرها . ارغمت نفسها على تناول بعض الفطور . فتحت المذياع لتستمع إلى النشرة الجوية في أثناء تناولها الطعام . وكانت الأنباء أسوأ ما كانت تتوقع - تفيد بهبوب العواصف في وقت مبكر من مساء ذلك اليوم .

يستغرق قطف الأزهار وتخزينها بالداخل على النحو المطلوب يومين من العمل المتصل على الأقل . حتى لو بدأت العمل الآن منذ الفجر واستمرت حتى الغسق فلن تستطيع قطف جميع الأزهار . ارتخت كتفاها قليلا ، لكن سرعان ما انتصبت تؤكد لنفسها أنها أفضل حالا بكثير من آلاف النساء الأخريات .. حسنا فهي تواجه الآن موقفا حرجا قد يترتب عليه خسارتها ربح عام كامل إذا لم تنجح في إنقاذ محصولها ، بينما جلوسها هناك تجتر هموم ما تنطوي عليه العواصف المتكهن بها ، لن يجدي شيئا .

بدا الجو بالخارج مثقلا بالحرارة والضيق . عندما بلغت يتبعها "هوراشيو" أول الحقول كاد الـ"تي شيرت" أن يلتصق بجسدها في

الوقت الذي لم تبلغ الشمس فيه سوى ما فوق خط الأفق بقليل كانت ممتنة أن لم يكن هناك ندى لأن قطف الأزهار الرطبة يعني تعفنها قبل أن تتاح لها فرصة تجفيفها. فتحت البوابة المؤدية إلى الحقل ووقفت هناك تعاين العمل الذي ينتظرها ، ثم رمشت غير مصدقة عندما رأت شخصا ما يتحرك بتصميم متجها نحوها.

قالت بحماقة :

- "نيل" ماذا تفعل هنا ؟"

كان مثلها مرتديا بنطلونا من الچينز مع قميص "الـ"تي شيرت"، ومثل بنطلونها كان بنطلونه قديما باهتا .وقميصه الـ"تي شيرت" أيضا بدا منكمشا بفعل القدم ملتصقا بصدره . جف حلقها عندما تقدم منها ،فرأت قوة عضلاته من تحت النسيج الرقيق .

قال وهو يراقب بشرتها تتورد ، عندما تذكرت كيف حملها إلى فراشها :

- " جئت أعيد إليك مفاتيح بيتك . "

ثم وقبل أن تبدأ نقاشا استطرد قائلا : "رأيت أنه يمكنك الاستفادة من بعض المعاونة " :

- " معاونة ؟ " كادت تتلعثم في ترديدها هذه الكلمة ، كما لو لم يكن معناها مألوفا لها ، وقد رفعت نحوه عينين متأملتين وهي تقول بألم :

- "منك ؟ لكن ... "

وقاطعها قائلا :

- " أعلم ما ستقولين . حسنا . لا أعلم عن الأزهار شيئا . لكن إذا أرشدتني من أين أبدأ وماذا أفعل ... "

رأى التعبير الذي لاح بوجهها ، فأضاف على نحو مباشر:

- " لا وقت للكبرياء يا "رو" . من المؤكد أن زوجا إضافيا من الأيدي أفضل من لا شيء ؟ "

ثم أضاف إثر رؤيته الريبة والاضطراب يظللان عينيها:سمعت النشرة الجوية هذا الصباح الاستقلال شيء ممتاز، لكن هل أنت على استعداد حقا لأن تجازفي بكل هذا".

ولوح بذراعيه مشيرا إلى الحقل من أمامهما . " لا لسبب إلا لما تشعرين به تجاهي ؟"

أدت أن تطلب منه أن يمضي . من الواجب أن تطلب منه أن يمضي

لكن لسبب ما التصقت الكلمات بحلقها وترقرقت الدموع خلف مقلتيها . لماذا يفعل هذا ؟ من المؤكد أن خسارتها محصولها أكثر مناسبة لأهدافه . لم تصدق أن يعرض عليها المساعدة بالفعل.

اختنق حلقها بدموع التأثر . كان فوق مستوى اقتناعها أن هذا الرجل الذي تتوفر له من الأسباب ما يجعله يقف جانبا ويترك الدمار يسحقها يمد لها يد العون بالفعل . اضطربت لهذه المفاجأة التي كادت تفقدها توازنها ، وتدفع سعادة كادت تبلغ إلى التفتح باعماقها ..

قال "نيل" محذرا :

- " حان الوقت لأن نبدأ ".

كانت الشمس قد أشرقت والهواء ساكن مهددا بالرعود . حاولت "رو" أن تستجمع ذهنها : أخبرته بصفوف الأزهار المطلوب قطفها وكيفية قطفها وكيفية ترتيبها في السلال الواسعة التي أحضرتها معها لهذا الغرض . وجهته إلى أحد صفوف الأزهار وبدأت هي تعمل في آخر .

دفعها إحساسها بقربه منها إلى التوتر وثقل الحركة ، حتى أنه تفوق عليها خلال نصف الساعة الأولى من العمل ، ولكنها تخلصت من ذلك التوتر تدريجيا عندما حبب شعورها بالحاجة إلى العمل باقصى سرعة ممكنة كل شيء آخر ، في الحادية عشرة ، ورغم عملهما المتصل منذ الخامسة صباحا ، لم يجمعا أكثر من أزهار ثلث الرقعة ..

قال "نيل" معلنا وهو يعتدل في وقفته :

- " وقت الراحة على ما أرى ".

أحست وكان ظهرها يحترق ، ولكنها رفضت مع ذلك أن تتخلى عن موقعها .

قالت بصوت مفعم بالغيظ :

- " لا وقت للراحة ، لكن إذا كنت متعبا فلا بأس من أن تستريح".

تقدم منها مستوليا على المقص والسلة ليخبرها بحزم :

- " راحة قصيرة الآن تمنحك قوة لما بعد سنعود إلى الكوخ لنأكل ونشرب شيئا " .

وبوسيلة أو بأخرى وقبل أن تستطيع "رو" أن تثير أي اعتراض وجدت نفسها تقاد بحزم لكن بحنان إلى خارج الحقل .

لم يقضيا بالمطبخ أكثر من نصف ساعة تناولا خلالها القهوة التي أعدتها "رو" والشطائر التي أصر "نيل" على أن كليهما بحاجة إليها .

شعرت بأن ظهرها قد استراح ، كما انصرف عنها التوتر الذي كان قد دفعها إلى أن تنكر حاجتها إلى بعض الراحة ، ومعه الصداع الذي كان يهددها .

رفضت الاعتراف بأن "نيل" كان محقا في أن يصر على أن ينالا قسطا من الراحة ، لذا سارت صامتة إلى جواره . بينما اتخذا طريقهما عائدين إلى الحقول .

قالت تخاطبه على نحو مفاجئ :

- " لا حاجة بك إلى مزيد من العمل ".

فسألها بأسلوب ماكر مبتسما إليها ، بما جعل قلبها يخفق بشدة :

- " على هذا القدر من السوء أنا ؟"

هزت "رو" رأسها رافضة أن تتحدث خشية أن يفضحها صوتها: في الواقع أنه أنجز العمل بسرعة وكفاءة ، لم تتمكن هي ذاتها من مسايرته فيهما .

والآن ورغم غياب السحب اكتسب الجو لونا نحاسيا ولم تصبح هناك نفحة من هواء .

قال "نيل" معلقا وهو يخلع قميصه الـ"تي شيرت" بحركة أشعرت "رو" بخفة حركة عضلاته .

- " يمكن إحساس الرعد في الجو . أليس كذلك ؟ "

كان جسده طفيف السمرة والشعيرات القاتمة التي تغطي صدره تضيق رقعتها كلما اتجهت إلى أسفل .

راقبته "رو" من خلال نظرة جانبية لم تستطع أن تنتزعها منه .

قال بلهجة مرحة وهو يضع فوق قفاها يدا قوية حازمة :

- " هيا - عودة إلى العمل ".

كان لتأثير لمسته فعل الكهرباء ، شعرت بارتعاد يبدأ في عمق معدتها ، وينتشر من هناك ليغزو جميع أحشاء جسدها كانت . لمسته مؤلمة محرقة ، ومع ذلك لم يمكنها الابتعاد عنها، وعلم من خلال أسلوب غير منطوق بما كان يحدث لها، توترت يده فوق قفاها ثم ارتخت مرة أخرى لتمسده أصابعه برقة .

استشعرت "رو" تيبسا وتهديدا وخوفا من تأثرها بلمسه بقدر ما كان من فكرة لمسه إياها . التقطت نفسا عميقا وابتعدت عنه وهي تقول مرتعدة :

www.elromancia.com

- " لا تلمسني "

دفعتها نظرة التامل التي رمقها بها إلى الارتخاء ، بحيث كان عليها ان تقاوم اتجاهها إليه . حاولت ان تقنع نفسها بان هذا تاثيرا الرعد الذي في الجو عليها . ادارت نحوه ظهرها وسارت مبتعدة عنه . لابد ان يكون تاثير الجو والتهديد بالرعد والقلق المصاحب لهذه الظروف ما يجعل مسلكها بهذه الغرابة .

عملا حتى الواحدة ، وكانت "رو" هي من طالب بالتوقف في هذه المرة لابد ان تكون قد تعرضت إلى مثل هذا الشعور من قبل - هذا ما قالته لنفسها وهي تعتدل لتريح ظهرها المتالم - وإن كانت لا تذكر متى . احست وكانها لن تتمكن من السير معتدلة بعد الآن .

قالت تخاطب "نيل" بإيجاز إذ لم تجد لديها القدرة على الكلام :

- " الغداء "

غضبت عندما هز راسه ، ثم اشار نحو السحب التي بدات تتجمع عند خط الافق ثم قال واجما :

- " إذا توقفنا الآن ، فإننا سنفقد نصف ساعة ، وقياسا على السرعة التي تجري بها هذه السحابة ، لن يكون لدينا اكثر من ثلاث ساعات قبل ان تهب العاصفة علينا .

عندما نظرت "رو" نحو الافق تاكدت من صحة ما قال. اعتصر معدتها شعور ياس مؤلم ، وانتقلت نظرتها من الجو إلى الحقل امامهما . بذلا جهدا مضنيا وجمعا ما يزيد على نصف الأزهار التي حان قطافها ، ومع ذلك عندما نظرت إلى حجم العمل الذي لم يز ل متطلبا الإنجاز ترقرقت عيناها بالدموع . ولكنها لن تبكي . لا يمكنها ان تبكي ليس الآن ليس في وجوده .

صرت على اسنانها ، وانحنت مرة اخرى فوق صفوف الأزهار التي بدت وكانها لن تنتهي ابدا . سمعت "نيل" يعمل جنبا إلى جنب معها . انّ "هوراشيو" يعوي متململا .

قالت مخاطبة "نيل" الذي اعتدل ينظر إلى الكلب :

- " لا يحب الرعد . عثرت عليه في اثناء عاصفة رعدية . " واضافت بلهجة مهذبة " كان ضالا . واجابها "نيل" مزمجرا :

- " ممم . اراهن على انك لم تعلمي إلى اي جنس ينتمي عندما حملته إلى بيتك . "

شعرت بجرح عميق ، رغم انها كانت تعلم انها تستحق هذا التعليق. عملت كما لم تعمل من قبل طوال حياتها ، وكان "نيل" يضارعها سرعة وكفاءة . لا "نيل" هو الذي حدد السرعة اللازمة لإنجاز العمل هذا ما اقرته رغم إرهاقها وهي تراقبه يتحرك مجاوزا إياها بقليل مما دفعها إلى مضاعفة جهدها حتى تلحق به .

احست في منتصف فترة ما بعد الظهيرة بالانخفاض المفاجئ في درجات الحرارة ، ووخزت فروة راسها محذرة . لم تصبح العاصفة بعيدة الآن ، رغم ان الشمس لم تز ل مشرقة بلون نحاسي . كان امامهما ثلاثة صفوف اخرى وكاناقد بدا العمل حالا في الصف الاخير منها عندما بدا المطر يهطل دون مقدمات - بغزارة مصحوبة بصيحات الرعد الغاضبة وبضوء البرق المبهر . ثم ودون ما إنذار يذكر فتح الجو ابوابه من فوقهما وانهمر المطر ضاربا العدد القليل من الازهار التي لم تقطف .

- " ها هي ذي !".

سمعت "نيل" يصيح بصوت علا فوق صوت العاصفة " اسرعي لنحمل هذا الكم إلى الداخل قبل ان يتحطم ".

ارادت ان تعترض بحجة انه لم تز ل هناك ازهار للقطف ، لكنها علمت ان "نيل" كان مصيب الراي . وعندما انحنى يجمع سلاله الممتلئة حذت حذوه . ووقت بلوغها سقيفة التجفيف كانت تلهث مشبعة بالماء، لكن بفضل بعد النظر الذي اتصف "نيل" به احتفظ البلاستيك الذي كان قد اوصى بتغطية السلال به بالازهار جافة .

نظرت من داخل سقيفة التجفيف إلى الجو الذي اصبح الآن اسود تقريبا . ستفقد تلك الكمية من الازهار التي لم توفق في جمعها ولكنهما انقذا على الاقل المجموع كله . بواسطتهما انقذ المحصول ، قالت تؤكد لنفسها بالم متخيلة ما كان سيكون الوضع عليه دون معاونة "نيل" . التفتت إليه لتشكره ، لكن الكلام ظل حبيس حلقها .

قال :

- " اصبحت مشبعا بالماء . وانت ايضا . لنذهب إلى الداخل ونتجفف ".

اومات "رو" وبدات تتجه إلى الكوخ مدركة ان "نيل" يسير بجانبها دون ان تنظر إليه . لم تظهر العاصفة اية علامات للهدوء ، بينما

تساقط المطر بغزارة وقوة فوق النافذة .

سمعت "نيل" يقول من خلفها :

- " كلانا بحاجة إلى "دش" ماء ساخن وقدح قهوة مركزة . هل ثمة مايمكنك أن تفعليه بهذا ؟"

مد نحوها قميصه فرات أنه مشبع بالماء فأجابته:

- " ساضعه في المجفف .. "

وقف بجانبها يسألها بهدوء :

- " ماذا عن البقية الباقية من أزهارك "

أجابته بعناء شديد :

- " القدر الأكبر منها أزهار خريفية . ربما يسعدني الحظ بأن تظل باقية إلى ما بعد العاصفة . جميعها جيدة التثبيت والغرس وإذا كان هناك ما يدمرها فهو الريح لا الأمطار "

سألها :

- " من منا يحصل على "الدش" الساخن أولا ؟ " كانت "رو" من الإرهاق بحيث لم تبال . هزت كتفيها وظلت صامتة فقال مقترحا :

- " أغتسل أنا أولا . ثم أعد لنا عجة أو أي شيء . بينما تغتسلين".

كانت تعلم أنه من الواجب عليها أن تخبره بأنها ترغب في أن يعود إلى بيته . وأنها لا تريده أن يبقى هنا في كوخها . ولكنها كانت من الإرهاق بما لم يمكنها معه التفكير في الجدال معه لذا اكتفت بالإيماء متخذة أحد مقاعد المطبخ بينما اتجه هو إلى الدرج.

أخذت الأمطار بالخارج تضرب الجدران الحجرية بشدة . نهضت مهمومة تتجه إلى حجرة الاستقبال حيث أشعلت عود ثقاب لتوقد به المدفأة التي دائما ما تركتها معدة هناك. كان الكوخ دافئا بدرجة كافية. لكنها كانت ترى في الليالي العاصفة أن مدفأة تظل طويلا تضفي على المكان بعض السلوى وتجعلها تشعر بمزيد من الأمن والأمان . بدا أن التعب قد تسرب إلى كل عظام جسدها وتوجعت عضلاتها . تاقت إلى أن تستلقي وتستسلم للنوم .

وبدلا من ذلك رأت أن عليها أن تتجه إلى الطابق العلوي . إذ يتعين أن يكون "نيل" قد انتهى الآن من استعمال "الدش" ..

الفصل السادس

اعتلت "رو" الدرج ببطء شديد ، مجفلة إزاء الآلام المبرحة التي سيطرت على ظهرها . توقفت عند أعلى الدرج تدلك الفقرات الأخيرة من عمودها الفقاري بتعب شديد. نظرت وهي واقفة عند منبسط الدرج إلى الحديقة التي أغرقتها مياه الأمطار . لن تعاني أعشابها الكثير التلف من جراء العاصفة.

في الحقل التالي للحديقة وقفت صفوف خضراء مرتفعة لا أزهار فيها بعد الجهد الذي بذلاه الآن في جمع المحصول اطمانت لهذا المشهد. تم اجتناب المخاطر بفضل تدخل "نيل" ... شبه المعجز ..

فتح باب الحمام من خلفها ، ولكنها كانت من الإجهاد بحيث لم تلتفت نحوه . أحست بحرارة البخار تحوطها ، ثم بـ"نيل" يقف خلفها..

كان الجو قد أضاء قليلا الآن ، ولم يصبح الرعد سوى زئير بعيد .. بينما كان لوقع الضوضاء التي أحدثتها الأمطار المنهمرة فوق السطح فعل السلوى . أحست بنعمة الوجود في كوخها تحتمي فيه من العناصر الثائرة بالخارج .

قال "نيل" :

- "الدش" في انتظارك" ... التفتت إلى الخلف كي تخبره بان قميصه التائي لم يزل في المجفف ، ولكنها سكنت تماما إذ توقف ذهنها بفعل الصدمة ..

أحاطت إحدى مناشفها به . وكان الشعر الحريري على صدره مبللا. تجمعت حبات عرق دقيقة فوق عظام ترقوته ، وانزلقت إلى منتصف صدره ، فتنتها حركتها حتى انه لم يمكنها ان تنزع نظرتها عنها ، وراودتها حاجة ملحة إلى أن تمد يدها لتمسك بتلك القطرات وهي تتساقط .

رات صدره يرتفع ويهبط ، وسمعت صوت حديث خافتا تبينت أنها معنية به : رفعت نظرتها المتاملة إلى وجهه . اظلم لون عينيه حتى اصبح في مثل سواد شعره الذي لم يزل مبللا من الاغتسال فتجعدت اطرافه قليلا إلى أعلى . ارادت أن تمد يدها وتلمس شعره وتلمس "نيل" نفسه تبينت ذلك في موجة ارتعاد مفاجئة .

- "رو" سمعته ينطق باسمها بحدة ، كما لو كان يحذرها ثم ولما لم تجبه قاله مرة أخرى بنبرة مختلفة .... اكثر رقة وإن لم تكن مشوبة بتحد لا يخطئ .

حتى عندئذ لم يمكنها أن تنتزع نظرتها عنه وعن سواد عينيه الذي بدا وكانه يكوي أعماقها ، ومن الشحوب الغريب الذي أحاط بالمنطقة ماحول فمه ، كما لو كانت تحت ضغط لا يحتمل من التوتر ، ومن فمه ذاته ..

تركز بصرها عليه ، ولم تحوله عنه ثم ولدهشتها انتهى السحر الذي نجم عنه سكونها عندما أطلق "نيل" الفاظ سباب خافتة ، ثم مد يديه ليمسك بها . سألها

- "ما الذي تريدينه يا "رو" ؟

خفق جسدها رغبة وحاجة ... حاجة عرفتها من قبل ... منذ سنين مضت . تذكرت تلك الحاجة فجاة على نحو مبهر .. من المؤكد انها ظل شاحب لما تشعر به الآن . عندئذ لاحت صدمة الواقع المريرة ... علمها بان أحدا لا يحبها او يرغب فيها ...

سمعت أنين "نيل"، وشفتاه تغزوان جسدها لكن الوقت كان قد ولى . فقد ارتفع عنها الضعف الذي سلبها عقلها وأصبح باستطاعتها أن ترى الواقع مرة أخرى . لا رغبة لـ"نيل" فيها إنما رغبته في أرضها ..

www.elromancia.com

دفعته بعيدا عنها بنشيج أسى خافت ، فاطلقها على الرغم منه. خاطبته بنبرة جافة :

- " لا جدوى ، أعلم لماذا تفعل بي هذا . إنك مثل "چوليان" تماما . جميعكم سواء ، تعتقد أن بوسعك أن تستدرجني حتى أبيعك ارضي..."

أخافها اللون الرمادي الفاتر الذي لاح في عينيه ولكنها رفضت أن تفضح خوفها ...

- " اريدك أن تمضي .. والآن ...."

- " هكذا ؟ "

جاءت نبرته واجمة ، وتبينت أن كل ما كان يرتديه هو منشفتها . سكنت حيث كانت ، وتشبثت نظرتها بالخط القاتم لشعر صدره المتجه إلى بطنه .

قال بصوت خافت :

- " رو" دعيني ... "

ولكنها قاطعته بحدة متألمة لشدة تأثرها به :

- " لا . انت تضيع وقتك . لست بالحماقة التي تظنني عليها . ربما كنت ضحية هذه الحيلة مرة ، ولكنني لن اخدع بها مرة ثانية.

نظر إليها طويلا ، ثم قال في هدوء :

- " نعم ، اعتقد انك على حق . أساء زوجك إليك يا "رو" لا يمكن لاحد أن ينكر هذا . عندما علمت بادئ الأمر بحقيقة ما اصابك ، رايت كم كنت شجاعة ، واعجبت بك لشجاعتك . ولكنني ايقنت الآن أن لا شجاعة لك إطلاقا وانك جبانة ... جبانة تختبئ خلف ستار مرارتها ورفضها... تستخدم ذكرى تجربة قاسية كمبرر لأن تبتعد عن العالم بأسره .

" اتفق معك في أن زوجك قد خدعك ، وسبب لك جراحا . وإني أسف لذلك . بل شديد الأسف . ولكنني لست زوجك يا "رو" . انا رجل آخر ذو مشاعر مختلفة .."

فقذفته قائلة :

- " لكن بلا دوافع مختلفة . تريد مني شيئا ما ، تماما كما كان يريد. ولا تهتم بنوعية الوسائل التي تلجا إليها في سبيل الحصول على ما تريد انت مثله تماما . "

نظر إليها وحرك الخليط الغريب من الشفقة والازدراء الذي لاح في

عينيه فيها رغبة في أن تصيح مطالبة إياه بالا ينظر إليها هكذا .

ودون أن ينطق بكلمة واحدة تركها واتجه إلى حجرة النوم الإضافية تاركا إياها تنظر إلى لا شيء .

لم تزل واقفة هناك ، وعيناها تشعان أسى عندما غادر الحجرة مرتديا ملابسه باستثناء القميص التائي .

- " في ظل هذه الظروف لا أرى داعيا للبقاء هنا . " قال ذلك بهدوء ، وعلى الرغم من أن ذهنها أطلق صيحات النصر مؤكدا لها صواب مافعلت ، وأن "نيل" كان يرغب في خداعها واستغلال مشاعرها فقط توجع قلبها بشدة حتى أنها اضطرت إلى أن تلتفت بعيدا عنه تحسبا لأن يرى ذلك في عينيها .

اتخذ خطوة مبتعدا عنها ، كما لو كانت شيئا دنسا ، ويبس الازدراء جميع حركاته ، كانت تعلم أنها مدينة له بالامتنان على ما فعله ، لأنها وبغض النظر عن دوافعه كانت ستفقد ما يزيد على نصف المحصول ، لولا معاونته لها ، وهذا يعني خسارة كامل ربحها عن العام . لكن كلمات الشكر رفضت أن تفارق فمها ..

لم تهبط إلى الطابق السفلي حتى سمعته ينصرف من المنزل . لم تكن قد اغتسلت بعد ، ولم تزل في ثياب مبللة ترتعد بشدة .. دخلت حجرة الاستقبال حيث كانت قد اشعلت نار المدفأة وجثت امامها .

أقبل "هوراشيو" نحو سيدته التي ظلت بلا حراك باستثناء الدموع الغزيرة التي كانت تنحدر إلى أسفل وجنتيها . أنّ واندفع إليها ...

استشعرت راحة في دفء جسده القوي ، لكنها لم تكن الراحة التي تنشدها . ما تريده هو "نيل" . كاد هذا الاكتشاف يحطمها . كيف حدث ذلك ؟ وكيف سمحت له بأن يحدث ؟

كل تلك السنوات الماضية مع "چوليان" كانت تشعر بالرغبة وتعلم مدى احتياجاتها الأنثوية وتعتز بها . تطلعت بسعادة وعدم مبالاة إلى الزواج ، وإلى المسرات التي سوف يتقاسمها "چوليان" معها ، والذي رفض رغم إلحاحها المتكرر أن يمارس معها الحب قبل الزواج ، مما أثار فيها الرضا والبهجة أنه يضع اهتمامه بصالحها فوق كل الاعتبارات بما فيها رغباته الخاصة .

كم كانت ساذجة كبيرة الثقة بالآخرين . لكن فور أن تبينت الحقيقة ، وفور أن تكشف لها ما يعنيه الرجال حقا بحديثهم عن الحب والرغبة ،

وتبينت إلي أي مدى من الحساسية والتأثر يتأتى لجسدها أن يحملها، أقسمت على الا تسمح لنفسها بأن تقع مرة اخرى فريسة لذات الفخ . فمن الأفضل بكثير الا تعرف الرغبة ، طالما عرفت الآلام التي قد تؤدي بها إليها . اضطرت إلى الاعتراف بأن جميع الرجال ليسوا سواء ، لها من الصديقات من يعشن في سعادة وهناءة ، وحب متبادل ؛ لذا ينبغي أن يكون القصور في موقع ما منها. لابد أنها ليست أهلا لأن تحب ، وهذا ما يجذب إليها من يستغلها ومن يسيء معاملتها ... لأن ذوي المصالح الشخصية من الرجال دون غيرهم هم الذين يجذبون إليها .

عاشت خمس سنوات - كادت أن تكون ستا وفقا للتعليمات التي فرضتها على نفسها ، وكانت طوال تلك المدة آمنة راضية ، ثم عرف "نيل ساكستون" طريقه إلى حياتها عنوة ليربكها بتصرفاته ، منبريا لخداعها وتحطيمها عامدا متعمدا ... مثل "چوليان" تماما.

مر الوقت دون أي إدراك بفواته من جانبها . خيم الظلام وبدأ "هوارشيو" عواء مريرا ، بسبب الجوع والانزعاج لسكون سيدته التام.

عاد الرعد بضوضائه حول التلال . كان والدها قد وصفه لها وهي بعد طفلة صغيرة :

- " تصوريه على هيئة كرة قدم عملاقة تركل من قمة تل إلى قمة تل آخر . ارتعدت "رو" . أحست ببرودة شديدة وقد تخلت عنها كبرياؤها ، واحترامها لذاتها ، وحيدة كما لم تكن أبدا من قبل . أحست برغبة في أن تغمض عينيها وتغط في النوم ، وتظل على تلك الحال ، لكن "هوراشيو" ظل يعوي. انطفأت النار وكان لديها ما يتطلب الإنجاز ، فهي الآن امرأة وليست طفلة . لابد لها من أن تهتدي إلى وسيلة تصلح بها ما أفسده "نيل" ... أن تغلق باب الحظيرة بعد أن انتهى الغرس خارجها ! هذا ما قالته لنفسها ساخرة ، وهي تنهض على قدميها بعناء شديد ، وقد استولى على جسدها المتيبس وخز مبرح .

علمت وسيلة واحدة تبعد عنها الآلام - وسيلة مجدية - لكن جسدها بحاجة الآن إلى النوم على الرغم من عدم حاجة ذهنها إليه .

رأت على نحو غامض ، أنه لابد لها من أن تتناول طعاما ، لكن لم تشعر بشهية إلى الطعام ، كما لم تكن قادرة على إعداده . أطعمت "هوراشيو" وأخرجته خارجا ، فعاد إليها بمخالب موحلة وظهر مبلل .

جففت فروه ، وأطفأت الأضواء سالكة طريقها إلى الفراش .

نعم . عاونها "نيل" ولكنه تقاضى مقابلا باهظا عن مساعدته إياها - مقابلا لن تستطيع التوقف عن بذله ..

ارتجف قلبها ضاربا ضلوعها عندما أقرت بالحقيقة الواقعة ..لقد وقعت في حبه كيف ؟ لا فكرة لديها . إنه لأمر مستحيل منطقيا لكن منذ متى خضعت العواطف لصوت المنطق ؟ وما أخافها أكثر من كل شيء هو علمها بأنه لولا لحظة التعقل المنقذة التي حدثت في وقت مبكر من الأمسية لكانت قد وهبته نفسها راضية بل سعيدة متهللة .

كان هو سيستثمر حبها له في التوصل إلى ما يريد . مثل "چوليان" تماما ..

لم يزد حبها لـ"چوليان" على كونه افتتانا صبيانيا زادته وفاة والدها وحاجتها إلى من تركن إليه اشتعالا . وكانت الليلة الأولى لزواجهما كافية لأن تبدد ذلك الافتتان إذ كان امتلاكه إياها قاسيا ولم يدخر وسعا في أن يوضح لها أنه لم يكن إلا لإيقاعها قانونيا في فخ إعمال ذلك الزواج ، إضافة إلى ما تبينته من أنه لم يحبها أبدا ، ولم يرغب فيها أبدا ، إنه تزوجها طلبا لثروتها لا لشخصها ، واجتمع كل ذلك ليقتلع منها كل مشاعر الود تجاهه ...

تسللت فكرة غير مرغوب فيها إلى ذهنها ، تغريها بأنه لو أنها شجعت "نيل" على ممارسة الحب معها لاكتشفت في الوقت المناسب أن مشاعرها نحوه سوف تختفي ... غضبت من نفسها وطرحت الفكرة جانبا لما عرفته عن نتائجها ... توجع جسدها توقا إليه ، وزادت حاجتها إليه إلى حد كان يهدد بالسيطرة على مقاييسها الذهنية . ولن تسمح بأن يحدث هذا .

استيقظت مرهقة ، وذهنها مخدر إلى حد البلادة بفعل الأحلام المزعجة التي تعرضت لها على مدى الليل كله . كان جسدها - إضافة إلى تعاستها الذهنية - متيبسا متشنج العضلات رافضا التعاون معها عندما بدأت تتحرك .

هبطت إلى الطابق السفلي في روبها كي تخرج "هوراشيو" ثم انحنت فوق منضدة المطبخ تعد لنفسها قدحا من القهوة فورية التجهيز ... إذ لم يتوفر لها الجهد اللازم لإعداد قهوة المرشح التي كانت تفضلها ..

كان الجو غائما معتما . سكنت رياح الليلة السابقة وهبطت درجات الحرارة . عكست تجمعات مياه الأمطار حالة الجو . لن تكون هناك حاجة بها إلى الري اليوم ... عليها أن تقضي اليوم في سقيفة التجفيف تتولى تجهيز حصاد الأمس ، ولن يكون "نيل" هناك ليعاونها.

سرعان ما بدا لها جو المطبخ خانقا ، فاضطرت إلى فتح إحدى النوافذ .

تحركت رغما عنها ، وبعناد شديد إلى الطابق العلوي كي تغتسل وتبدل ثيابها . رأت من خلال النافذة المزرعة التي ذكرت السيدة داكري" أنها قد بيعت . قطبت وهي تنظر إليها . ما الذي أصاب ذلك المقاول حتى يشتريها ؟ فلا مداخل لها . قطبت عندما تذكرت ، كم كان جافا مهددا إياها . كان من ذلك النوع من الرجال الذي يحتقر المرأة ، كما كان مغاليا في العجرفة بظنه أنه بوسعه أن ينال من الحياة ما يطلب . رأت أنه حتى لو تم إقناعها بالبيع لكانت قد رفضت البيع له تلذذا منها في عدم إجابته إلى طلبه .

لوت وجهها قليلا عندما تذكرت ، كم حذرها من أنه لم ييئس وأنه اشترى الآن قطعة أرض أخرى . أدهشها أنه لم يشتر "الكورت" بدلا عنها ، ثم تذكرت أن ذلك المنزل مسجل، وأنه من غير المحتمل أن يحصل على ترخيص إعادة تخطيط له .

عندما همت بالابتعاد عن النافذة سمعت صوت بندقية صيد تنطلق من اتجاه أرض "نيل" ، وقطبت تتساءل عما كان يصطاده . كانت بعض جماعات الشباب تقضي عطلة نهاية الأسبوع في قنص الأرانب من المزارع بعد موسم الحصاد ، وفي الصباح الباكر بينما لا يزال الضباب يغطي الحقول ، كان هدوءها في ذلك الوقت من العام يتبدد مع أصوات طلقات الأعيرة النارية ، لكن من غير المعتاد في مثل هذا الوقت من العام أن يسمع صوت طلق ناري واحد .

اتجهت متعبة إلى الطابق السفلي مصرة على أن تنتزع "نيل ساكستون" من ذهنها كلية ... ومن قلبها . أعلمها شيء ما بداخلها أن ذلك لن يكون بالأمر اليسير .

العمل ومزيد منه ، ما هي بحاجة إليه ، ومن المؤكد أنها غير مفتقرة إلى هذا العنصر - هكذا كانت تحدث نفسها- بينما كانت تعد بعض

القهوة الساخنة ، وتضع شرائح الخبز بداخل المقدد . وفي انتظار تقدد الخبز اتجهت إلى الباب الخلفي وفتحته منادية "هوراشيو" . كان زهوه الصباحي روتينيا ، ولكنه أحب فطوره إلى حد عدم إطالة البقاء بالخارج .

انتظرت لتسمع صوت قرع القرص المعدني المتدلي من الطوق مقابل قفله في أثناء عدوه ذلك الـ"هواشيو" الصديق الحبيب .

لما لم تسمع شيئا نادت ثانية . أخرجت شريحة الخبز إلى خارج المقدد ، ولكنها تجاهلتها تماما . تسلل إلى داخلها إحساس خوف لا تفسير له . تلك الطلقة النارية ... أحب "هوراشيو" مطاردة الأرانب ، رغم أنه لم يمسك بواحد منها قط . هل من الممكن أن يكون "نيل" ... ؟ لكن لا . كان لابد له من أن يرى الكلب ... وأن يعلم ... مدت يدها نحو حذائها طويل الساق ولبسته ، دون أن تتوقف لتبحث الأسى الذي احتواها ، ثم انطلقت بخطى غير منتظمة تجاه البوابة المؤدية إلى الحقل .

لم تلتفت نحو الأزهار للمرة الأولى ، بل ظلت تسير فوق الممر الموحل، مركزة اهتمامها على بلوغ المرقى المؤدي إلى المتنزه ..

إذا أصاب "هوراشيو" شيء فهي الملومة ... لم يكن من الواجب أن تسمح له بالتجوال في أراضي الغير ... لكن الملاك السابقين قلما أتوا إلى المنزل ، مما أتاح لـ"هوراشيو" فرصة الاستمتاع بمطاردة الأرانب التي تعيش في المتنزه .

وصلت إلى المرقى لاهثة . ارتقته وعاينت المتنزه من فوق القمة وهي تنادي "هوارشيو" بشغف محموم .

أزعج نداؤها بعض الطيور التي اتخذت تصيح هاجرة أعشاشها ، ضاربة بجناحيها . تجاهلتها "رو" وأسرعت في اتجاه النهر . كانت هذه المنطقة المحببة لـ"هوراشيو" في محاولاته القنص إذ أمتعه التظاهر بأنه أحد كلاب الماء على ضوء سلالة "اللابرادور" .

اتخذ النهر مجراه من خلال الأيكة الواقعة بين المتنزه والمزرعة ، كانت "رو" قد رأت القاوند هناك لأول مرة وفي مناسبة لا تنسى ، عندما كان أحد ثعالب الماء يلهو هناك أيضا ظل النهر موضع سحر بالنسبة إليها .. عاطفة مستبقاة منذ أيام طفولتها عندما كانت تلهو سعيدة فوق ضفتيه . أما اليوم ... فقد تذكرت أن الطلقات التي سمعتها قد

جاءت من هذا الاتجاه .

وبغض النظر عن نداءاتها وإصغائها لم يأتها الصوت المألوف لحركة ذلك الجسد الضخم .

بلغت النهر شبه محمومة بالمخاوف . رأت على الفور آثار المخالب في الوحل اللين عند حافة رقعة مرتفعة من الضفة. اتجهت مسرعة إليها ، ونظرت إلى أسفل في اتجاه النهر .

رأت "هوراشيو" مستلقيا فوق جزيرة صغيرة من العشب والوحل . والنهر ممتلئ على نحو غير معتاد بأمطار الليلة السابقة . هز ذيله لرؤيتها وحاول أن يرفع رأسه ثم بدا فجأة يئن متألما . عندما تحرك رأت "رو" نزف الدماء يغطي فروه عند الساق الخلفية .

تجمدت أطرافها ذهولا وعدم تصديق ، كانت مهياة جزئيا لمثل هذا الحدث رغم أنها لم تكن لتصدق أن "نيل" من الممكن أن يرتكب مثل هذه الإساءة . أن يسيء إليها ... نعم . بوسعها أن تتفهم الدافع إلى ذلك ... لكن أن يصيب "هوراشيو" الذي تحبه إلى حد العبادة .. أن يطلق النار على كلبها بمثل هذه السهولة ...

رفعت يدها إلى وجهها تدفع في غضب أيا كان ذلك الشيء الذي يغيم إبصارها فتبينت أنها كانت تبكي . هبطت إلى الضفة وخاضت نحو "هوراشيو" . أنّ الكلب مرة أخرى ، وأخذ يهز ذيله .

رأت جسده ممزقا في مكان الإصابة والجرح داميا . أنّ مرة أخرى محاولا أن يقف على قدميه ، ولكنه هوى متوجعا عندما لم تقو ساقاه على حمله .

قررت "رو" أن ساق "هوراشيو" لم تكن مكسورة . وكما لو كان وجودها قد أعطاه دفعة من قوة تمكنه من الوقوف والتوازن ، مستندا عليها . لن يستطيع السير إلى البيت . ضمته إلى صدرها بحرارة عندما شعرت بالارتياح أن جراحه لم تكن خطيرة .

لم يكن بالكلب الشجاع . وقف يرتجف سعيدا بأنه قد أنقذ عليها أن تحمله وهي عائدة إلى البيت .

كان ثقيل الوزن ، وكانت صغيرة الحجم . نظرت إلى الضفة المنحدرة، وأيقنت من أنه لن يمكنها حمله متسلقة إياها . عليها أن تسير في اتجاه مجرى النهر حتى تجد لها مخرجا أسهل .

ولم يكن ذلك بالأمر اليسير أيضا . انزلق حذاؤها فوق الحجارة

المكسوة بالفطر الزلق من تحت الماء الذي ارتفع أكثر من مرة حتى أعلى حذائها وبلل جواربها وقدميها . أكثر من مرة خشيت من أن تفقد توازنها ، واضطرت أكثر من مرة إلى أن تتوقف لتريح ساعديها . لكنها اهتدت أخيرا إلى موقع منخفض من الضفة ، استطاعت من خلاله أن تسير مترنحة خارج النهر لتسلك الممر .

كل ما هو واجب عليها الآن هو أن تخترق المتنزه ، ثم تعتلي المرقى.. ثم ... لكن لتأخذ الأعمال والأهداف ، الواحد تلو الآخر وفقا لترتيب توقيتاتها .

ثبت لها أن المرقى هو أصعب الصعاب وتمنت لو أنه كان بوابة ، أو شيئا بهذا القدر من اليسر .

ضعفت ساقاها إزاء ارتياحها لعودتها إلى الأرض التي تمتلكها. لكن لم يكن بوسعها أن تتوقف الآن ، إذ عليها أن تحمل "هوراشيو" إلى المنزل ، وعليها أن تتصل هاتفيا بالبيطري تطلب حضوره لفحص "هوراشيو" وتحديد إصاباته . وأهم من كل شيء أن تشكو "نيل ساكستون" إلى الشرطة ..

في الوقت الذي بلغت فيه البوابة الفاصلة بين الحقول وحديقتها كانت قد بلغت قمة الإرهاق ، حتى أن الغريزة والإصرار العنيدهما ما كانا يدفعانها إلى مواصلة رحلتها المهما ذراعاها بشدة حتى أنها شعرت ، وكان عضلاتها تحترق ، كما لو كانت قد انتزعت من مواضعها بلا رحمة أو شفقة . هدد ظهرها بأن ينفصل إلى جزأين وارتعدت ساقاها بعنف ، لم تجرؤ معه على التوقف للراحة خشية أن ينهارا من تحتها .

أخذ "هوراشيو" يئن ، ويتوجع . تدفقت الدماء من جرحه فتلوثت ذراعها ، حملتها مياه النهر إلى كل مكان منها . حتى أنها ما إن رفعت يدها تبعد الشعر عن عينيها حتى لوث شريط من الدماء وجهها .

تبينت في قمة إرهاقها وبينما غيمت دموع الخوف والتوتر- التي لم تجرؤ على ذرفها - إبصارها وعلى نحو مفاجئ أنها كادت تبلغ الباب الخلفي لمنزلها . لاح الكوخ أمامها يرتفع ويهبط على نحو شديد الغرابة ، ثم خارت ركبتاها من تحتها.. وعندما صاحت استنكارا امتدت ذراعان قويتان رفعا العبء عنها ، بينما أطلق صوت "هنّا" المألوف من فوق رأسها صيحة مفعمة بالذعر :

- " رو " ... عزيزتي ! ما الذي حدث ؟"
- " هنا " ؟

ركزت " رو " بصرها بصعوبة على صديقتها ، ثم على الرجل الواقف إلى جوارها الذي كان يحمل " هوراشيو " ويهدئ من روعه ... ويراقبها باهتمام قلق دفعها إلى أن تقول بنبرة جشاء :

- " لو كنت ترغبين حقا في أن تعرفي ، لماذا لا تسالينه ؟"

رأت النظرة التي تبادلتها " هنا " مع " نيل " وأضافت بسخرية:

- " هيا . اساليه . اساليه ، لماذا حاول ممارسة الحب معي في الليلة الماضية ؟ ولماذا حاول قتل " هوراشيو " المسكين ؟.."

- " رو " ..."

سمعت نبرة التحذير في صوت " نيل " وتجاهلتها ..

- " عليّ أن أحمل " هوراشيو " إلى الطبيب ... "

- " ساخذه إليه . "

بدا الصوت الرجولي المقتضب ، وكأنه يبلغها عبر مسافة ما . احتوتها مشاعر الضعف واليأس مع حاجة شديدة إلى مقاومتهما

- " حتى تسنح لك فرصة أخرى لقتله ؟"

كانت ترتعد الآن والدموع تنهمر فوق وجهها . "

لست ماهرا في الرماية ؟ أليس كذلك ؟ اترك كلبي... هل تعتقد حقا انني سأسمح لك بأن تحمله إلى أي مكان ؟"

كان واقفا أمامها مباشرة ، لكنها لسبب ما لم تستطع التركيز عليه . بدأت هيئته تتحول إلى شكل قاتم يتحرك على نحو مخيف ، سمعته يقول واجما :

- " هنا " أرى من الأفضل أن تستدعي طبيبا ... "

ثم ذبلت الدنيا من حولها حتى صارت سوادا يخنقها ويحتويها .

عندما أفاقت وجدت نفسها راقدة في فراشها ، و" هنا " تقف بجانبها، تراقبها بقلق شديد .

قالت لها :

- " لا داعي للقلق . غبت عن الوعي قليلا ، ولا عجب في ذلك فقد حملت " هوراشيو " المسكين على طول هذه المسافة . حمله " نيل " إلى الطبيب " جاءت هذه الفقرة الأخيرة ردا على ما راته في عيني " رو " من قلق شديد عليه . ثم سألتها وقد هبطت إلى ركبتيها بجوار الفراش

" رو " أتعتقدين حقا أن " نيل " أصابه عمدا ؟ أليس كذلك ؟"

أشاحت " رو " بوجهها بعيدا عن صديقتها ، لما تبينت من نظرات " هنا " عدم قدرتها على أن تشاركها اعتقادها . لكن يجب أن تأخذ في اعتبارها أن " هنا " لا تعرفه قدر ما تعرفه هي ... ولا تعرف مدى قسوته، ولا مبالاته . قالت " هنا " بهدوء :

- " أرسلت في طلب الطبيب . أعتقد أن هذه لابد أن تكون سيارته الآن . "

أجابتها " رو " وهي تبذل جهدا كبيرا كي تجلس :

- " لست بحاجة إلى طبيب . ما أريد هو الهاتف حتى أبلغ الشرطة بما فعل " نيل " . عندما سمعت تلك الطلقات هذا الصباح... "

التقطت نفسا مرتعدا ، بينما رمقتها " هنا " بنظرة اهتمام بالغ .

- " سأذهب وأفتح الباب للطبيب " .

ترددت قليلا عند الباب ثم توقفت لتقول : " رو " ... أرى من الواجب أن تتحدثي مع " نيل " في الأمر . من المستحيل أن يكون هو من أطلق الرصاص على " هوراشيو " توقفت عن الحديث عندما سمعت صوت ناقوس الباب . وأجابتها " رو " غاضبة :

- " لك أن تعتقدي ما تريدين يا " هنا " ، لكن لن يمكنك إقناعي.."

دق ناقوس الباب مرة أخرى ، فأسرعت " هنا " تجيبه بعد أن رمقت صديقتها بنظرة قلق أخرى .

مر بعض الوقت قبل أن تعود إليها بصحبة الطبيب ونظرت " رو " إليهما مرتابة متسائلة عما عساها أن تكون قد أخبرته به ، ربما بأنها قد أصابها اضطراب ذهني - هذا ما لاح لها. كان واضحا أن " هنا " لن تقتنع أبدا بأن " نيل ساكستون " هو المسؤول عن إصابة " هوراشيو " .

لم يكن دكتور " كندريك " الذي اعتادته " رو " رؤيته منذ الطفولة ، لكنه كان أحد مساعديه كان اسكتلنديا فظا ، أشقر الشعر ، أزرق العينين حاد النظرات ، سجل نبضها المتسارع بأنامل حازمة وتعبيرات قلقة ، بينما كان يستمع إلى شرح " هنا " الموجز بشأن كيفية اكتشافها " رو " وهي تسير مترنحة في عودتها إلى المنزل حاملة " هوراشيو " .

أضافت " هنا " قائلة كي تطمئن " رو " :

- " وقد أخذ " نيل " ... مستر " ساكستون " الكلب إلى الطبيب البيطري قال : إنه يعتقد أن الجرح سطحي فقط ، وأن " هوراشيو " سرعان ما

www.elromancia.com

سيكون على خير ما يرام ."

إصابت "رو" نوبة ارتعاد ، ولسبب لا تعرفه بدات الدموع تنهمر على وجهها فجاة ...

- " صدمة " .

سمعت الطبيب وهو يقول ذلك ثم اضاف بصوت منخفض.

"اعتقد انه سيغشى عليها ثانية ".

وعندما افاقت في هذه المرة رات زوجين من العيون تتابعانها عيني "هنًا" القلقتين ، وعيني الطبيب الفاحصتين . رات "رو" ... انه لاحق لها في أن تكون مستلقية في فراشها هكذا بل من الواجب عليها أن تكون على اتصال بالشرطة تبلغ عن الجريمة التي ارتكبها "نيل" .

سمعت الطبيب يذكر شيئا عن الإجهاد ، وفتحت فاها لتنفيه لكن يبدو أن وهنا شديدا كان قد اصابها ، وعندما طلب الطبيب من "هنًا" أن تحضر كاس ماء مع قرص دواء إلى "رو" وجدت نفسها تبتلعه بطريقة أو باخرى ، وبعد وقت قصير جدا أو هكذا بدا لها ، وجدت نفسها منعدمة الوزن تطفو في فراغ دافئ اختفت فيه آلامها واوجاعها كلية ... "

الفصل السابع

استيقظت "رو" فجاة فوجدت حجرتها في ظلام دامس ووجدت بابها مغلقا . اعتادت أن تتركها مفتوحة ، والانوار مضاءة في الرواق بالطابق السفلي . منذ أن انتقلت إلى هذا المكان لتعيش فيه بمفردها .

تعثرت وكادت تسقط من فوق الفراش وجسدها تحيط به الأوجاع وخصوصا في منطقة الذراعين . جف حلقها بتاثير العقار الذي كان الطبيب قد اعطاها إياها .

عندما اتجهت إلى مفتاح الإضاءة سمعت أنينا مالوفا ، والتقطت عيناها اللتان اعتادتا الظلام الآن شكل سلة هوارشيو .

فتحت الضوء بيد مرتعدة ثم جثت فوق ارضية الحجرة جانب الكلب. رات أن الإصابة قد نالت العناية الواجبة وأن الرقعة العارية تومض بلون وردي بجانب فروه القاتم . اهتز ذيله مبتهجا يضرب ارضية الحجرة . طوقت "رو" الكلب بذراعيها وضمته إليها وهي تهمس باسمه .

فتح باب حجرة النوم فسكنت تماما وهي تضم الكلب بشدة إليها بينما رات "نيل" واقفا هناك .

من حيث كانت جاثية فوق الأرض بدا وكانه يطل من فوقها. كشف

www.elromancia.com

الروب القاتم الذي كان يرتديه عن طول عضلي للساق . اعلمتها الغزيرة انه كان عاريا من خلف الروب . واما هي وعلى النقيض منه فكانت ترتدي ملابسها الداخلية اسفل قميص نوم . تذكرت على نحو غير واضح مساعدة "هنًا" لها على ارتدائها . كانت هذه الذكرى من الغموض بحيث إنها لم تكن واثقة بما إذا كانت حقيقة أم حلما ..

قال "نيل" بهدوء كما لو لم يكن هناك ما هو غير عادي في دخوله إلى حجرتها دون دعوة وكان يبدو كما لو انه قد غادر فراشه حالا بشعره الأسود المشعث .

- " سمعتك تتحركين في أرجاء الحجرة ، فرايت أن من الافضل أن أتي إليك كي اطمئنك على حال "هوراشيو" .

فحصه الطبيب بدقة متناهية.من اطلق الرصاص عليه لم يكن ماهرا جدا . لانه باستثناء تمزق بعض انسجته ، والصدمة التي اصابته ، وجده الطبيب على خير ما يرام " .

كادت "رو" الا تصدق ما كانت تسمعه . سالته بنبرة قاسية :

- " هل أخبرت الطبيب بانك انت من اطلق الرصاص عليه؟ لانه من المؤكد انني اعتزم ان ابلغه بذلك وابلغ الشرطة " ، بدات ترتجف " اخرج من هنا ! اخرج من بيتي " احكمت قبضتها على طوق "هوراشيو" الذي ان بصوت خافت مستشعرا توترها .

وقاطعها "نيل" باقتضاب :

- " كفى هراء ! بحق السماء ، لا تعتقدين حقا انني قد اطلقت الرصاص عليه اليس كذلك ؟"

توقف عن الحديث فور ان نظر إلى وجهها . وعادت "رو" تهاجمه بإصرار ، وتساله وهي ترتعد :

- " الم تفعل ؟"

- " نعم .لم افعل " اصبح الآن غاضبا. رات ان غضبه كاد يضارع غضبها ، فلمسها طيف ريبة مثل رمح من الثلج. ماذا لو انها قد اخطات التقدير ؟ لكن ذلك مستحيل..

قال يحثها على الحديث :

- " ذكرت "هنًا" انك سمعت صوت طلقات أعيرة نارية . متى كان ذلك. تذكرين؟"

رات "رو" انه يحاول إيقاعها في شرك ما :

- " كان في حوالي الساعة التاسعة في اثناء إذاعة نشرة الأخبار "

- " لعلمك انني في التاسعة من صباح اليوم كنت مجتمعا بالمحاسبين الذين يتولون الجانب الحسابي لعملي في كمبريدج وهو الأمر الذي يسعدهم ان يؤكدوه لك ."

رفضت "رو" ان تصدقه . ارادت ان تعترض على اقواله متعذرة بان رجلا في مثل ثرائه ونفوذه ، بوسعه ان يملي على محاسبيه الكذب عليها . لكنها كانت تعلم في قرارة نفسها ان ذلك لم يكن الواقع ، كما علمت من أسلوب نظره إليها انها قد اخطات الظن به.

بدا شعور اجوف مخيف بداخل صدرها ، وكان يدفع قلبها ليسقط .

- " كيف تجرئين على الاعتقاد فقط انني احاول إيذاء او تشويه اي حيوان ... وباي هدف ؟ نعم يا "رو" . اريد ان اشتري هذه الارض منك، لكنني لست بمثل تلك الحاجة الماسة إليها التي تدفعني إلى تحطيم مبادئي في سبيل الحصول عليها !"

رمقها بنظرة قاسية قهرتها . كيف تسنى له ان يقلب الاوضاع عليها ويشعرها بانها هي المخطئة ... وانها ... "

تخلصت من المشاعر التي اثارها غضبه فيها . وسالته برقة :

- " حسنا شخص ما اطلق الرصاص عليه . أم انك تريد ان تخبرني بانني قد تخيلت ذلك ايضا ؟"

- " لا . من المؤكد انه اصيب بطلقة نارية ... لكن من الصعب ان تعرف ما إذا كانت تلك الإصابة متعمدة أم انها لحقت به بطريق المصادفة . علمت ان المالك السابق للمنزل لم يات إليه إلا نادرا وان بعض اهل القرية اعتادوا العبث في الأرض .

فسالته "رو" :

- " تعني انه اصيب بيد احد المعتدين على حرمة الأرض؟"

- " إما ذلك او ربما كانت جماعة من الاحداث تلهو بالمكان تطلق الرصاص مستهدفة بعض الصخور فاصابت "هوراشيو" عن غير قصد"

رات ان هذا التفسير منطقي لكن وعلى الرغم من ان إصابة "هوراشيو" كانت سطحية فإنه اكد لها شيئا ما بداخلها لم تعرف له تفسيرا ، ان كلبها كان هدفا متعمدا للإصابة . ايد ذلك حالة الذعر

التي ألمت به .

- " بالمناسبة أخبرتني "هنًا" بانني لست الشخص الأول الذي يبدي رغبة في شراء أرضك ".

قطبت "رو" . نظرة إلى الساعة المنبهة عندما غادرت الفراش أعلمتها أن الساعة كانت الواحدة صباحا . لقد نامت يوما باكمله تقريبا . أحست بالإفاقة مع كل دقيقة تمر ، وبمزيد من التحكم في ذاتها لكن من المؤكد أن الحال يختلف بالنسبة إلى "نيل" ؟ من المؤكد انه في قمة الإرهاق ؟ الإرهاق الشديد الذي لا يسمح بتبادل أحاديث تافهة عن أرضها ؟ ما لم يكن قلقا من أنها قد تبيع أرضها إلى ذلك المقاول من قبيل الحنق .

أجابته باقتضاب :

- " لا . لست كذلك " غاضبة من نفسها ، لأنها أحست بجرح من انه يعتقد فيها هذا القدر من ضيق الأفق . لو كانت ستبيع فسيكون البيع إليه ، لأن هذه القطعة من الأرض كانت على الأقل جزءا من الممتلكات أصلا ، ومن العدل أنها إذا فكرت في أن تبيع فهو صاحب الاختيار الأول . لا يعني هذا أنها تعتزم البيع . " كان هناك مقاول تقدم في العام الماضي لشرائها : هناك شائعة في الصحيفة المحلية بأن الأراضي الواقعة في هذه المنطقة قد تصنف أرضا بيضاء ، بدلا من "حزام أخضر" .

- " وبذلك تصبح أرضا مميزة للتنمية العمرانية . وبخاصة أرضك بواجهتها المطلة على الطريق الرئيسي " ..

- " حسنا . نعم . وإن لم يبد ذلك ذا أهمية ، لانه اشترى الآن قطعة من الأرض تقع بعد أرضي من الرجل الذي كان يزرع المزرعة الملحقة بالمنزل أصلا . أخبرتني بذلك السيدة "داكري" مدبرة منزلنا السابقة عندما ذهبت لزيارتها".

أحنت رأسها فوق "هوراشيو" تمسد فروه الناعم ، ففاتها بذلك رؤية تقطيب "نيل" السريع ..

قال بهدوء متجها نحو السلة :

- " سيبرا تماما . حملته إلى هنا ، لانني رأيت أن ذلك سوف

يطمئنك عليه ، إذا ما استيقظت " ..

تكون في حلقها ثقل كبير إزاء مراعاته مشاعرها . لماذا يفعل هذا من أجلها في الوقت الذي تتوفر له فيه أسباب كراهيته إياها؟ لابد انه قد أيقن الآن من أنها لن تبيع أرضها؟

قالت بنبرة رقيقة :

- " أشكرك " ثم نظرت إلى أعلى في اللحظة المناسبة فرات السعادة التي لاحت في عينيه .

قال بنبرة مغوية :

- " لم يكن بالجهد الكبير على أية حال ، أليس كذلك ؟ تاقت مدة لحظة فقط إلى أن تطرح الحذر جانبا ، وتتجاوب معه بدفء وتلقائية ، لكن لم يكن بوسعها أن تسمح لنفسها بذلك يتعين عليها ألا تنسى الدرس القاسي الذي لقنه إياها حبها لـ"جوليان" ... و"نيل" ايضا سوف يسيء إليها إذا ما أتيحت له الفرصة .

تغاضت عن إجابته عن سؤاله ، وقالت بهدوء بدلا من ذلك:

- " ماذا تفعل هنا ؟"

- " أوصى الطبيب بالا تتركي بمفردك . تطوعت "هنًا" للبقاء لكن بما أن لها أسرة ترعاها ، أخبرتها بانني ساتولى ذلك بدلا منها . "

نظر إليها في اللحظة المناسبة ليرى تعبيرات وجهها . "رو" بحق السماء ، دعي الماضي يذهب وكفي عن معاقبتي على أخطاء رجل آخر"..

أحست بانها موضع غواية . آه يا لها من غواية . دفعتها المعرفة بتلك الغواية ، وبما وراءها إلى القول بلهجة جشاء ..

- " لا فرق هناك . أنت ... "جوليان" ... جميعكم سواء "..

رأت الغضب يلوح في وجهه ، مثل البرق يضيء تعبيرات ضراوة جعلتها تتراجع ...

قال صارا على أسنانه :

- " حسنا ... ومادام الحال كذلك فلن يدهشك أن أفعل هذا ".

ووجدت نفسها ترفع من فوق قدميها ، وتحمل نحو الفراش:

بدأت تصيح ، لكن سرعان ما تلاشى الصوت عندما وضعها فوق

الفراش ، وأحست ثقل جسده من فوقها يحدد حركتها ، حيث كانت يداه تقيدان حركة ذراعيها .

توترت "رو" وبدأ الخوف يتسرب إلى أعماقها عندما تذكرت ليلة زفافها . كانت قد تزوجت "چوليان" في أحد مكاتب التوثيق في صمت ، مما خيب آمالها ، لكن "چوليان" برر لها ذلك بأنه نظرا لوفاة والدها منذ زمن قصير ، فمن غير اللائق الاحتفال بزواجهما في الكنيسة .

كان قد أخبرها أيضا بأنه استأجر كوخا من أحد أصدقائه ليقضيا فيه شهر العسل . تصورته بيتا صغيرا دافئا يضمهما ، وتبين لها أنه لم يكن سوى مكان مهجور أبعد ما يكون عن الجاذبية . واحد من صف من الأكواخ المتشابهة التي لم يكن أحدها ماهولا، على قيد بضعة كيلو مترات من المناطق العمرانية ، ما عدا بلدة تعدين متناهية الصغر

كان البيت رطبا انبعثت منه الروائح الكريهة . تكشف لها فيما بعد أن ذلك البيت كان لوالدي "چوليان" في وقت ما . وإذ كانت في حالة إعياء وخيبة أمل تصرفت كتلك الفتاة المدللة ذات التسعة عشر ربيعا التي كانتها . عندئذ ، اعترضت بأن المنزل لم يرق لها حتى تشاجرا وترك "چوليان" المنزل في ثورته آخذا السيارة معه .

عندما عاد في الصباح الباكر ، في اليوم التالي كانت مشاعر الندم تسحق فؤادها متطلعة إلى مصالحته لكن "چوليان" كان ثملا تماما .

لم يدخر قسوة في إخطارها بأن تناوله تلك المشروبات لم يكن إلا ليتمكن من امتلاكها ، لأن هذا هو وسيلته الوحيدة لإعمال عقد الزواج.

لم يخف عنها شيئا عندئذ . لا واقع ازدرائه وكراهيته لها .. من بين جميع من كانت لهم الثروات التي لم تكن له ... ولا رؤيته لما ستكون عليه حياتهما معا .

قاومته بادئ الأمر حتى تبينت العنف الذي تثيره فيه مقاومتها ، واللذة التي وجدها في إيلامها .

والآن "نيل" يوشك أن يفعل بها ذلك أيضا .

أغمضت عينيها ، وتوترت ينتظر جسدها أن تبدأ الآلام والمذلة ... تعلم أنها لابد أن تبدأ وأن سبيلها الوحيد إلى احتمالها هو أن تجنب نفسها الهول ... وتستخدم عقلها في تحويل تفكيرها إلى شيء آخر .

ثم وعلى نحو لم تصدقه كانت طليقة والحشية تتحرك قليلا عندما ابتعد "نيل" عنها . كانت ترتعد إلى حد عدم القدرة على الحركة ، وقلبها يخفق بشدة في صدرها . فتحت عينيها فرأت "نيل" جالسا فوق حافة الفراش يراقبها ، وعلى وجهه تعبيرات لم يمكنها التوصل إلى فهمها...

مد يدا يلمسها بها فاجفلت رغما عنها ..

سمعت "نيل" يتحدث إليها عبر مسافة ما بصوت غليظ اجش لم تألفه ، وعندما أملت على نفسها التركيز على ما يقول سمعته ينطق بصوت مرتعد :

- "رو" إني آسف . لم يكن من الواجب أن أفعل ذلك إنه أمر لا يغتفر مزاجي اللعين ..."

لم تستطع بادئ الأمر أن تصدق ما سمعته . كان يعتذر بالتأكيد كما لم يفعل "چوليان" أبدا . على العكس ضحك "چوليان" من خوفها ... ووجد فيه متعة خاصة . أما "نيل" فبدا شاحبا ذاهلا رفع يده من فوق الفراش فرأت أنها ترتعد. نظرت في عينيه فرأت فيهما نفس الخوف والألم اللذين كانت تعلم أنهما مستقران في عينيها - وأن به بئرا من الحنان لم تعتقد أبدا في وجوده بداخله ، ولا في مهارته في إخفائه عنها . زحفت يدها فاستقرت فوق يده بإشارة ارتياح غير منطوقة .

رأت الأسى عميقا في عينيه ، والدموع تضيء مقلتيه . خفق قلبها في صدرها ، عندما نظرت دهشة إليه لا تصدق أنها مثار هذه المشاعر ، رفع يدها إلى شفتيه ليطبع قبلة دافئة على نعومة راحتها .

أثارت هذه الحركة جسدها على الرغم من خلوها من أية إشارة إلى الجنس ، مثلما يفعل نسيم الربيع بفروع شجيرة صفصاف ..

تحركت شفتاه على بشرتها برقة وسمعته يقول بصوت غليظ :

- "رو" عشب الرشاقة . لقد أحسن والداك اختيار اسم لك وسرعان ما فاضت عيناه بدموع حارة . قالت بصوت رقيق:

- "كان الخطأ من جانبي ، مثلما كان من جانبك ، لم يكن من الواجب أن ادفعك إلى مثل ذلك القدر من الغضب. "چوليان" ..."

قال مقاطعا بشدة وهو يترك يدها :

- " لا " ثم وعندما رأى الدموع في عينيها احتوى وجهها . في يديه ، وقال بصوت أكثر هدوءا " لا يا "رو" . حقيقة انك اثرت غضبي ، لكن الغضب مهما كانت مبرراته ليس عذرا لممارسة العنف ... وبخاصة العنف الجنسي . امقت هذا النوع من القسوة ، ودائما ما سوف امقته. لا يمكنك أن تعلمي مدى تاثير احترامي لذاتي بانني تبينت انني كم كنت قريبا من ... "

لم تستطع ان تتركه يواصل هذا الحديث ، لذلك قاطعته لاهثة :

- " لا داعي لهذا الإحساس . لم تجرح مشاعري . "

- " اجرح مشاعرك ؟" كادت عيناه تتحولان إلى اللون الأسود ، الا تفهمين حتى الآن ؟"

ارتعد فمها وبدا هو غير قادر على أن يتوقف عن النظر إليه . رأته يهز كتفيه ، وأحست ذلك بحركة اصابعه التشنجية فوق جسدها .

قال بصوت غليظ :

- " لم أرغب في أن أجرحك يا "رو" . أردت ... آه . " توقف عن الحديث ولم يستطع أن يبعد نظره عن رقة فمها وبراءة إثارته.

علمت "رو" بان سوف يقبلها ، كما علمت أن من السهل عليها أن تمنعه ، ولم تجد لها رغبة في ذلك ... لا رغبة في أن تفعل أي شيء سوى أن تذوب فيه بصوت سعادة غير منطوق . استقر فمه على شفتيها برقة ، علمت من خلالها كم كان يخشى إيلامها . توترت عضلات ذراعيه وهو يحتوي وجهها في يديه ، ويقاوم بشدة حتى امكنه التحكم في الرغبة الجامحة بداخله .

- " "رو" دعيني أوضح لك ... "

ركزت بصرها عليه وقالت بنبرة تنطق بالتعب :

- " لا داعي لأن تفعل . أفهم ... "

ثم ومثل طفلة تتلو خطابا اتقنت استظهاره قالت بنبرة رسمية " أسفة إذا كنت سببت لك حرجا . لا أعني ذلك . كثير من الأزمات العاطفية في يوم واحد . لا حاجة بك إلى البقاء . سأكون بخير الآن "

بدا يقول :

- " "رو" -"

لم تستطع أن تحتمل مزيدا . إذا بقي مدة أطول سوف تنهار كلية .

قالت ترجوه بحزم :

- " أرجوك ... " غير قادرة أن تنظر إلى وجهه . وكما لو كان يعلم بما تعانيه التقط روبه وقال بهدوء :

- " إني آسف "

اغمضت عينيها حتى ايقنت انه قد انصرف . اعلمتها حاسة ما بانه بغض النظر عما قالته له لن يتركها هناك بمفردها ولم يوفر لها هذا اي ارتياح لانه طالما بقي لن تتمكن من أن تستسلم للحزن الذي كاد يمزقها .

احبته واعتقدت انه يريدها ... اعتقدت ذلك بضع لحظات مجيدة. لكن الأمر لم يكن سوي الشفقة أو الرثاء ... سمه ما شئت لقد اخطات قراءة الرسالة المكتوبة في عينيه فدفعت بكليهما إلى الألم والحرج .

من الأفضل الا تراه ثانية لصالح كليهما . هي لانها غير واثقة بان بوسعها أن تسبب حرجا لكليهما بالإفصاح عن مشاعرها و"نيل" ... حسنا "نيل" يكاد الا يرغب في أن يكون قريبا منها . ليس الآن . لم يساورها شك في انه لو اتيحت له الفرصة فسيتقدم لها بعذر حفظا لماء الوجه ... تفسير منطقي لأسباب رفضه إياها. آه . لقد حاول الادعاء بانها اخطات فهمه . وانه كان يرغب فيها لكن الأمر كان سابقا أوانه بكثير، ذلك الأمر الأجش الصادر لها بالانتظار ، لم يكن بحاجة إلى شرح أو تفسير .

جلست بلا حراك تنظر إلى لا شيء تتساءل عما أصابها حتى تتعجل المتاعب فيما يتعلق بعلاقاتها الشخصية .

لم يكن "نيل" مثل "جوليان" في جشعه وانانيته وعدم اهتمامه بالآخرين . الشبه الوحيد الذي جمع بينهما هو أن كليهما لم يمكنه أن يحبها .

وفي انتظار أن تهدأ الآلام بداخلها رأت "رو" باسى انه كان من الأفضل الا تلتقي بـ"نيل" أصلا ... وإلا تتبين حقيقة مشاعرها نحوه . لكن ... أوان تغيير الأمور قد ولى . لا يزال جسدها يحمل صدى للرغبة التي اثارها بداخلها . لو اغمضت عينيها متجاهلة الواقع يمكنها أن

تحس لمس جسده ودفئه وعبير نفحته ... لمس اصابعه وثقل جسده . لكن يجب ألا تفكر في تلك الأمور . بل أن تمحوها من ذاكرتها لتركز بدلا عن ذلك على الواقع أيا كان .

لها منزلها ، ولها عملها وأصدقاؤها . كانت راضية قبل أن يغزو "نيل" حياتها . لكن هذا الرضا تبدد الآن .. كانت المقارنة بين ما كانت حياتها عليه وما كانت لتصبح عليه لو أنه شاركها أحاسيسها من الآلام بحيث لا تحتمل .

لكن من الواجب عليها احتمالها بطريقة أو بأخرى . لأنه عليها أن تتعلم كيفية مواجهة الحياة بقدر من رباطة الجاش على الأقل ...

الفصل الثامن

شعرت "رو" للمرة الأولى منذ أن بدأت هذا المشروع بعدم القدرة على العمل لم يكن مرجعها الإرهاق الجسماني فقط ، الذي أوهن جسدها إلى حد أصبح معه كل ما تريد أن تفعله هو أن تجلس وتنظر إلى الفضاء تستمتع بقدح من القهوة المنعشة دون الافتقار إلى الرغبة في العمل أيضا .

لم تكن لها رغبة في أي شيء. هذا ما أيقنته باسى وهي تنحني فوق "هوراشيو" تداعب اذنيه ، والكلب يئن ويضرب بذيله أرضية الحجرة مستشعرا أساها .

كانت قد حملت سلته إلى الطابق السفلي لتضعها في المطبخ ، وعلى الرغم من دفئه احست "رو" بقشعريرة طفيفة عندما نظرت إلى كابة الجو الملبد بالغيوم بالخارج .

سمع "هوراشيو" صوت السيارة قبل أن تسمعه هي ، وبدأ ذيله يضرب السلة بعنف ، وعواؤه يعبر عن مزيد من السعادة . قبل أن تسنح لـ"رو" فرصة التفكير في الإسراع إلى الطابق العلوي ، لتلبس شيئا أكثر أناقة من قميص النوم الذي كانت ترتديه بينما كان "نيل" عند الباب الخارجي .

www.elromancia.com

تمنت لو انها اولت مظهرها بعض الاهتمام ، كان لم تهبط إلى الطابق السفلي حافية القدمين ، عارية الساقين ، وشعرها متدل فوق كتفيها بدون تنسيق ، ووجهها خال تماما من اية الوان ، اللهم إلا ذلك الذي تدفق من تحت بشرتها على نحو محموم ، بينما كانت تحاول أن تطرح ذكريات معينة واضحة في ذهنها عن احداث الليلة السابقة .

شعرت على الرغم منها بنبض قلبها يتسارع إلى حد كبير ، بينما أحتوتها موجة من مشاعر السعادة ، وهي تفتح الباب له . لم يكن أمامها سبيل إلى السيطرة على تلك المشاعر سوى الابتعاد عنه بقدر كاف ، بينما اتخذت خطوة نحو الخلف لتسمح له بالدخول إلى المطبخ..

اول ما لفت انتباهها في اثناء دخوله هو ملبسه رسمي الصبغة . اختفى البنطلون الجينز الباهت ، والقميص التائي البالي وحل محلهما قميص ناصع البياض ، أحسن كيه وتنشية ياقته ، وحلة عمل باللون الرمادي الفاتح من نسيج الحرير والصوف معا . ومضت أزرار كمي القميص الذهبية عاكسة الضوء عندما اتجه إلى السلة وانحنى يداعب "هوراشيو" ..

- " لا تفعل " .

جاء تحذير "رو" حاد النبرة ، حتى انه التفت إليه مقطبا ، عندما انتصب احست بضالة شانها بقدميها الحافيتين وبعدم ارتياح لمظهرها شبه العاري بالمقارنة إلى رسمية هندامه .

قال واجما :

- " لن أوذيه . اعتقد اننا تحدثنا في ذلك كثيرا الليلة الماضية أحست "رو" بواجبها في أن توضح له ما تعني إذ تبينت انه قد أخطأ فهمها تماما ، فقالت بصوت رقيق :

- " لا ، ليس هذا ما أعني --"

عمق تقطيبه ، ولم يسمح لها بان تقول المزيد ، بل قاطعها قائلا:

- " أكاذيب مهذبة يا "رو" توقعت منك ما هو أفضل من ذلك على اية حال ، قد ولى الأوان . لقد أوضحت مدى تخوفك من أن المس "هوراشيو" .. ما الذي تعتقدين أن بوسعي أن افعله به أمام عينيك مباشرة؟"

قالت يائسة :

- " ليس الأمر كذلك "

واتخذت نحوه بضع خطوات في محاولتها لتصحيح اللبس الذي حدث . تحرك في ذات اللحظة نفسها متجها إليها حتى اصبحت على قيد ذراع منه ، اقرب مما يكفل لها الأمان - هذا ما رات بافكار محمومة في الوقت الذي اثارت فيه حركته المفاجئة الهواء بينهما ، فترامت إليها رائحة جسده نظيفة حادة ، مع كونها تعبر عن الرجولة في الوقت نفسه لتعود بها إلى احداث الليلة الماضية، عندما كانت شبه منتشية برائحة بشرتها ، واريج جسده ..

تغير لون وجهها وفضح جسدها ارتعاشها . تنهدت من اعماقها فدفعت الأنفاس التي التقطتها بصدرها إلى نسيج القميص القطني الخفيف مما لفت نظر "نيل" الذي ينظر في عينيها مباشرة إليه .

انتابتها رجفة مفاجئة ، وحميت أعماقها ووهنت .

سمعت نفسها تقول بصوت متوتر جاف :

- " الأمر يتعلق بحلتك . لهذا لم ارغب في أن تقترب من "هوراشيو" ، إنه يطرح شعره ، ومن الممكن أن يفسد ذلك هندامك."

كان يصغي إليها دون أن يحول بصره عن صدرها . كادت تسمع صوتا آخر بداخلها يرجوه الا ينظر إليها هكذا ، حتى لا يفضح مدى تاثرها به ..

- " حلتي ؟"

وقف قريبا منها ، بحيث أن دفء انفاسه داعب بشرته تركزت عيناه عليها الآن ، فاحست وكانه يمكنها ان تغرق في نظرتهما الحانية . وبدا جسدها يثور متوجعا .

- " لم أستطع النوم في الليلة الماضية . ظللت افكر في ملمسك ومذاقك .."

إنه يكذب عليها ... لابد انه يكذب . ونبرة الرغبة المتوترة التي تشوب صوته - لابد انها تتخيلها ولكنها لم تجرؤ على النظر إلى عينيه حتى ترى الكذب يلوح فيهما لذا نظرت إلى أسفل ، فتورد وجهها خجلا ، إذ لم يكن هناك مجال للشك في انه قد اثير.

سمعت "نيل" يقول من مكان ما ، بصوت كادت الا تتعرف عليه عندما امتزج فيه الألم بالرغبة :

- " انظري ما تفعلينه بي . فالتفكير في لمسك فقط يجعلني اتجاوب

www.elromancia.com

مثل مراهق لا خبرة له . "رو" ..."

نطق باسمها ووجدت نفسها بطريقة ما بين ذراعيه تتنهد برقة ، وبصوت خافت إزاء الشغف الذي سيطر على جسدها . داعبت إحدى يديه شعرها ، بينما قبضت الأخرى على خصرها تضمها إليه في قبلة حارة ..

تشبثت به في موجة من الرغبة ، وعدم التصديق وهي تقبض على كتفيه حتى قطع القبلة وتمتم قائلا شيئا وهو يبتعد عنها قليلا: ظنت انه سوف يتركها ، ولكنه خلع سترته وحل رباط عنقه وفتح أزرار قميصه ثم قال :

- " آه . "رو" لا تقفي وتنظري إليّ هكذا ... المسيني."

وأعادها إلى ذراعيه وهو يئن إزاء لمسها إياه ، ثم قال بصوت غليظ :

- "هذا ما كنت أفكر فيه طوال الليلة الماضية قلت لنفسي هذا الصباح : إنني لن ..."

وذابت في قبضته واختلطت أصوات أنين السعادة وعمقت حتى انها لم تصبح في شك من مدى حاجته إلى إشباع رغبته فيها .. سألها بإلحاح :

- " "رو" أريدك . أريد أن أخذك هنا والآن ... اشبع رغبتك واسمع أنات سعادتك . هل هذا ما ترغبين فيه أيضا ؟"

تجاوبت معه على الفور ، وتهيأ للحظة الهناءة المرتقبة ..

دقت أجراس الكنيسة على البعد ، وعلى نحو مفاجئ - مفاجئ جدا حتى كادت "رو" ألا تصدق أنه يحدث - أطلقها "نيل" ...

اتسعت عيناها بالام عدم التصديق فراته واقفا على قيد بضعة أمتار منها يغلق الحزام المنزلق لحلته ويقول لها من فوق كتفه بنبرة مهذبة جدا :

- " لا يمكنني البقاء . يجب أن أكون في لندن بحلول الساعة الواحدة."

عندما رأى تعبيرات الذهول الرافض في عينيها أطلق لفظ سباب عائدا إليها :

- " "رو" لا تنظري إليّ هكذا ..."

دفعتها كبرياؤها إلى الابتعاد عنه ، ولكنه رفض أن يدعها تبتعد عنه، فقبض عليها بشدة ، ضاما إياها إليه ثم قال متمتما فوق

رأسها:

- " لا . دعيني أضحك دقيقة واحدة . تأثيرك عليّ شديد جدا . أمل أن تكوني على علم بذلك . جئت إلى هنا هذا الصباح كي أطمئن على "هوراشيو" ولأخبرك بأنني سأتغيب بضعة أيام . هذا كل ما في الأمر".

الخطأ إذن خطؤها . أليس كذلك ؟ هي التي أغرته عمدا وبغير اكتراث ... هل هذا ما يحاول أن يخبرها به ؟

سيطرت البرودة على جسدها ، ودفعته بعيدا عنها قائلة بنبرة حادة وهي تدير ظهرها نحوه :

- " آسفة إذا كنت قد سببت لك تأخيرا ."

ثم استجمعت شجاعتها وكبرياءها والتفتت إليه مرة أخرى وهي تقول بنبرة فاترة " :

- " إذا كنت تواقا إلى النساء إلى الحد الذي يكفي معه النظر إلى إحداهن فقط لإثارتك ، ربما كان من الأفضل ألا تأتي إلى هنا ثانية يا "نيل" . ثم أضافت كذبا " لا أريدك في حياتي " أملت على نفسها أن تنظر في عينيه مباشرة أملة ألا تفضح عيناها الحقيقة التي تحاول إخفاءها بأكاذيبها ، حتى لا يقف على مدى حبها له ، وأنها في خطر داهم من أن تذل له نفسها كلية ..

قال بنبرة رقيقة :

- " لم يكن هذا هو الانطباع الذي تلقيته منذ خمس دقائق".

وقفت لحظة لا تجد ما تقوله ، ثم قالت بنبرة جافة وهي تهز كتفيها بما استطاعت من علامات عدم الاكتراث :

- " أنت عاشق واسع الخبرة والنفوذ ... ومن الطبيعي أنك قد أثرتني جسديا ."

فسألها واجما :

- " وهذا كل ما في الأمر - هل هذا ما تريدين أن تقوليه لي ؟"

لم يمكنها الآن التراجع بعد كل ما قالته لأنها لو تراجعت فسيبدأ في استجوابها عن أسباب شعورها بحاجتها إلي الكذب كي تحمي نفسها منذ بادئ الأمر ، لذا قالت كذبا بكآبة شديدة .

- " نعم ما غير ذلك من الممكن أن يكون ؟"

ظنت لحظة أنه سوف يقبض عليها بالفعل ، لكن بدا أنه قد فكر في الأمر مليا لأنه اتخذ خطوة إلى الخلف بعيدا عنها ، وأكمل تثبيت رباط

www.elromancia.com

عنقه ثم قال باقتضاب :

- " لا وقت لأن نكمل مناقشة هذا الأمر الآن ، لكن لا تظني يا "رو" أنني قد أغلقت باب المناقشة هنا لأنني لم أفعل ".

فتح الباب وخرج منه تاركا "رو" في حالة استنزاف ذهني وجسدي حالت دون قدرتها على الحركة .

مضى حوالي نصف الساعة قبل أن تعي كل ما قال . نهضت عندئذ وسارت مترنحة نحو النافذة تطل منها في اتجاه الـ"كورت" أخافها أن أحست بمثل هذا الهجران والضياع لمجرد أنه سوف يتغيب بضعة أيام .

لماذا هو ذاهب إلى لندن ؟ ما الذي سيفعله هناك ؟ بمن سيلتقي؟ نساء أكثر ملاءمة وتحضرا منها ... نساء يسعدن بما يسمح لهن به... ثم وبأنة ألم خافتة التفتت بعيدا عن النافذة ، سعيدة بمقاطعة رنين الهاتف لأفكارها .

لدهشتها أن كان المتحدث هو المحامي . وما حمله من أخبار زاد دهشتها . بدا أنه تم اتصال ما بين محامي المقاول وبينه مكررين العرض لشراء الكوخ والأرض الملحقة به .

طلبت "رو" منه على الفور أن يبلغ المقاول بأنه يضيع وقته وأنها لن توافق على البيع بحال من الأحوال .

لم تنم في تلك الليلة إلا قليلا وغزت صورة "نيل" جميع أحلامها. استيقظت تتوجع توقا إليه ، تحدوها رغبة ملحة في أن تقبل ما يعرضه عليها ، وأن تستسلم إلى رغبة جسدها حتى عندما رجاها قلبها أن تعيد النظر ، مذكرا إياها أن ما ترجوه من "نيل" يفوق بقدر كبير جدا الإشباع الجنسي ... وأنها لن تكون أبدا راضية بعلاقة قصيرة لا مغزى لها ، من المتوقع أن تجلب عليها على المدى الطويل مزيدا من الآلام عما قد تواجهه الآن ، لو أنها واجهت الأمر بحزم وثبات ورفضت أن تراه ثانية .

ومع ذلك ، وحتى في الوقت الذي توصلت فيه إلى هذا الرأي رغبت أن تراه ثانية . وأن تسمع صوته ... وأثاره المدمرة المحتملة على حياتها .

ربما أنها كانت تعتقد أنها تعرف معنى الوحدة قبل الآن لكنها لم تعرفها - هذا ما أقرب به "رو" لنفسها بعد انقضاء ثلاثة أيام لم تر

"نيل" خلالها ، ولم تسمع عنه شيئا كان عليها أن تواجه الحقيقة المرة في أن أوان محاولة إخراجه من حياتها قد ولّى .. تطور حبها له على نحو غير متوقع غاية في السرعة أصبح معه اقتلاع جذوره من قلبها أمرا مستحيلا .

رأت أن الحكمة من أجل راحة بالها ألا تراه إلا قليلا إذا ما عاد. ومع ذلك في كل مرة تذكرت الظمأ الذي رأته في عينيه والرغبة التي أحستها في جسده ، كانت الحكمة تفرق تحت صوت إلحاح حبها .

قالت لنفسها : إن الجنس ما كان يطلب منها ، وأنها جسد مناسب- قال صوت ساهر بداخلها - امرأة لا تسمح سنوات عمرها للأوهام الرومانسية الحمقاء بأن تراودها ... ومع كل ذلك رقيقا جدا معها.. حانيا إلى حد بعيد .

كما لابد أن يكون مع أية امرأة أخرى تثير أحاسيسه ورغباته ... خليطا متفجرا لايهدده بمثل المخاطر التي يهددها بها .

لم يحبها - لو كان قد أحبها لأخبرها بذلك بالتأكيد ولتحدث عن حبه لها ، لا عن رغبته فيها . خبرتها بالجنس الآخر وبتركيبته العاطفية تكاد تكون معدومة تماما ...

تماثلت جراح "هوراشيو" للشفاء ، وانقشعت السحب القاتمة فأشرقت الشمس مرة أخرى . شغلت بعملها وكان من المفروض أن يتبدد الوقت مثل الضباب ، تحت أشعة الشمس الصباح الدافئة ، ولكنه مر بطيئا متثاقلا .

ومرت الليالي بما هو أسوأ. ظلت مستيقظة في أثنائها تتذكر أحاسيس لمس "نيل" إياها. رفضت عقار النوم في سبيل عذاب خيال محموم عما عساه كان أن يكون في حالة..

وعندما استلقت فوق فراشها أخذت تفكر في "نيل" بعمق كان جسدها يتوجع توقا إليه .

كان قد تغيب ثلاثة أيام عندما حضرت "هنا" إليها تخبرها بمرح ، أنها والأسرة سوف يسافرون لقضاء إجازة ما .

- " صديقة من إحدى صديقاتي تمتلك "فيلا" في إسبانيا ، وطلبت مني إعادة تصميم ديكوراتها. " نظرت إلى وجه صديقتها الشاحب ، وسألتها على نحو لعوب " أرى أن لا جدوى من أن أطلب إليك الانضمام إلينا في هذه الرحلة ".

هزت "رو" راسها على الفور ، ثم قالت على نحو دفاعي عندما ادركت نظرة القلق التي رمقتها بها :

- " وكيف يمكنني ؟ إنني مشغولة إلى حد بعيد ، اولا وثانيا هناك "هوراشيو" .."

فسالتها "هنًا" :

- " الا يعتني "نيل" : به نيابة عنك ؟

اجابت "رو" وهي تدير راسها بعيدا عن صديقتها عمدا حتى لا ترى مدى تاثرها فور الحديث عنه :

- " ليس موجودا في الوقت الحالي "..

قالت "هنًا" بلا مبالاة :

- " ليس موجودا ؟ اه . تعنين تلك الرحلة إلى لندن . لا . لقد عاد . عاد الليلة الماضية .. او هذا ما ذكره لي صباح اليوم اتصل بي هاتفيا يطلب حضوري لمعاينة الجناح الذي يخصصه لوالدته . حجراته بالغة الجمال . يتالف الجناح من حجرة نوم وحجرة استقبال إضافة إلى حمام بالطابق الأول ، تطل جميعها على الجهة الجانبية للمنزل . تقع فوق المكتبة على حد اعتقادي . هل تذكرينها ؟"

أجابت "رو" باقتضاب :

- " نعم " فقد كانت تلك الحجرات التي تشير إليها صديقتها لها في وقت ما . لكنها رفضت ان تذكر ذلك . لم ترغب في ان تذكر اي شيء يشجع "هنًا" على البقاء طويلا ، لانها أرادت ... لا بل كانت في حاجة إلى ان تكون بمفردها مع الآلام التي هددت بسحقها تماما .

لقد عاد "نيل" ... كان بالمنزل مدة يوم كامل تقريبا ، ولم يبذل أية محاولة للاتصال بها ...

لم يخفف طلبها منه بان يظل بعيدا من الامها .. احرقتها عيناها وراودها إحساس رهيب بانها وشيكة البكاء .

- " القدر الاكبر من العمل الذي يطلب إنجازه خفيف للغاية . الحجرات جميلة وليست هناك أية مشكلات في تصميم المطلوب لها . ساعود إلى بيتي الآن لاضع تصميمين كي أحصل على موافقة "نيل" على أحدهما ، حتى أستطيع إنجاز المطلوب قبل سفرنا إلى إسبانيا "تاملت صديقتها . ثم قالت بحزم " لقد نحل جسدك إلى حد كبير يا "رو" . حتى كاد الا يبقى منك شيء اكثر من قفصك الصدري " . ثم

اضافت غائظة وهي ترمق قوام صديقتها بغيرة ماكرة "عندما يقل وزني اصبح على الفور مسطحة الصدر ، بينما انك عندما تفقدين بعض وزنك تبدين رقيقة جذابة ذات عظام وجنية عالية ومعصمين رقيقين ، ولا تفقدين سنتيمترا واحدا من مقاس دوران صدرك ".

اجابتها "رو" بذهن شارد :

- " هذا راجع إلى الجينات على حد اعتقادي . "

حقيقة إنها قد فقدت قدرا كبيرا من وزنها . بدا وكان الطعام قد فقد جاذبيته كلية . وجدت انها لم تتوقف عن العمل إلا في المساء مرتين منذ رحيل "نيل" وتبينت عندئذ انها لم تتناول اي شيء طوال اليوم ..

بقيت "هنًا" بضع دقائق اخرى تتحدث عن الرحلة المرتقبة إلى إسبانيا . ورغم رغبة "رو" في ان تكون بمفردها ، وجدت المنزل خاويا بما لا يحتمل على اثر رحيل "هنًا" .

ما الذي فعله "نيل" بها حتى جعلها ترى العزلة التي طالما احبتها وحدة قاتلة الآن ؟

اعدت لنفسها قدحا من القهوة ، ونادت تستدعي "هوراشيو" لا يزال هناك مزيد من عمل الري وجمع الأزهار التي قطفتها بمعاونة "نيل" وقد تم تجفيفها الآن بكل عناية وتحتاج إلى التقليب والفحص فقط . التفكر في هذا العمل الشاق وحده اشعرها بالام في ظهرها . ولم يسعها إلا ان تفكر ، كم مر الوقت مسرعا عندما كان "نيل" يعاونها . وكم شجعها وجوده إلى جانبها على مزيد من مشقة العمل . وكم من مرة نسيت فيها اوجاع ظهرها عندما رفع راسه يبتسم لها ..

ظلت تعمل إلى ما بعد العاشرة ، مركزة سمعها طوال الوقت في انتظار رنين الهاتف ، أو صوت السيارة يعلن عن وصول "نيل" لكن كل شيء ظل صامتا . هادئا كل الهدوء عندما عادت إلى المنزل و"هوراشيو" في اثرها ..

علمت ان عليها ان تتناول شيئا من الطعام . ولكنها احست بفتور همة بالغ ، وباستنزاف شديد لم يساعداها على التحمس لفكرة الطعام. رات أن حماما ساخنا ومشروبا من اللبن كان كل ما تريد .

كذب ! صاح صوت خفي . بل تريدين "نيل" . وكان هذا واقعا اليما . ولكنه بدا وكانه قد تلقى ما قالته له بمعناه الظاهر ، لانه لم يسرع لرؤيتها لحظة عودته إلى بيته ؟ هزات من نفسها لماذا يفعل؟ لم تكن

www.elromancia.com

ذات اهمية في حياته . تنهدت واهنة .

علمت وهي تاوي إلى الفراش انها لن تنام . لا يمكنها أن تنام . وتساءلت عما من شانه ان يحدث ، لو انها ارتدت ثيابها مرة أخرى، وذهبت لزيارة "نيل" . اسوأ ما يمكن ان يفعله هو ان يطلب منها ان تنصرف ... ان يخبرها بان لا اهتمام له بها جنسيا او غير ذلك . كم انه من اليسير أن يستسلم المرء للغواية لكن يتعين عليها ان تقاومها . ما الذي أصاب كبرياءها ؟ واعتدادها بذاتها ؟

مر وقت طويل قبل أن تخلد للنوم ثم نهض "هوراشيو" الذي لا يزال ينام في سلة بحجرة نومها ، وبدأ يعوي . فقد استقبلت حدة سمعه شيئا ما لم يبلغ اذني المراة النائمة فوق الفراش .

نظر إليها وعوى مرة أخرى . ثم غادر سلته وسار إلى الطابق الأدنى مستشعرا دخيلا في مكان ما بالخارج في دجى الليل .

كان عواؤه هو الذي ايقظ "رو" كان عواء حادا ضاريا يحذرها من الخطر . ظلت بادئ الأمر والنوم يغالبها انه لابد ان يكون "نيل" حضر لرؤيتها اخيرا . اعتدلت جالسة فوق الفراش . يضيء الابتسام وجهها، بينما يخفق قلبها بجنون . تمنت لو أنها قد فكرت في ارتداء شيء اكثر جاذبية من قميص نومها القديم هذا ، ارتعدت توقعا وسرورا وهي تنتظر سماع قرعه الباب .

لم يحدث قرع بالباب ، وتزايدت حدة عواء "هوراشيو" على نحو منتظم تؤكدها زمجرة من عمق حلقه .

صاحت "رو" تناديه ، ثم نهضت واسرعت إلى الطابق الأدنى واضاءت المصابيح . كانت الثعالب تؤرق نومه احيانا فيعوي على هذا النحو المتصل احتجاجا على انتهاكها حرمة ما يرى فيه مملكته. وجدته واقفا عند الباب الخلفي وقد وقف شعره وتزايد نباحه وقت وصول "رو" إلى المطبخ ..

حاولت تهدئته بان اكدت له عدم وجود اي إنسان هناك ، ولكنه رفض الإصغاء إليها ، وظل ينخر الباب باظفاره ويعوي طلبا للانطلاق إلى الخارج .

وعلما منها بانه لن يهدأ حتى تدفعه خارجا حيث استسلمت لرغبته مؤكدة له وهي تفتح الباب بان لا أحد هناك ولا شيء وإمعانا في التاكيد خرجت معه ترتعد قليلا عندما احست برودة هواء الليل لم

تابه بارتداء "روب" . وتجمدت في راسها كل فكرة ، لان تعود إلى المنزل لتحضر "روبا" عندما سارت حتى نهاية الفناء ، وتوقفت هناك على اثر سماع صوت قصف مشؤوم واشتمام رائحة شيء يحترق .

اتجهت تلقائيا تعدو صوب الصوت وهي تنعطف حول الزاوية في اللحظة المناسبة فرات السنة النار تلتهم نافذة الحظيرة بشراهة مخيفة ... تلك الحظيرة المجاورة لسقيفة التجفيف حيث وضعت الأزهار حديثة القطف لتجف ، وحيث انتهت من إيداع كل مخزونها خلال ذلك الأسبوع ، ثم قامت بحملة نظافة الرفوف الحظيرة استعدادا لازهار الموسم الجديد .

ودون ما توقف للتفكير اسرعت إلى سقيفة التجفيف ففتحت بابها واندفعت إلى داخلها تجذب الشباك المحتوية على الأزهار المرتبة لتجف وهي تترنح بالخارج بذراعين مثقلتين بالأزهار تسرع لوضعها في الأمان النسبي الذي يتيحه الفناء .

لم يخطر لها ابدا أن الخطر يهددها . كل ما أرادت ان تفعله هو ان تنقذ مخزونها . تساءلت في أثناء عملها عمن أشعل تلك النيران. دائما ما كانت حذرة — بل غاية في الحذر ...

توترت بشدة لسماع صوت انفجار صغير ينبعث من الحظيرة ترنحت بالخارج لرؤية السنة النار وهي تندلع من نافذة الغرفة .

انتشرت النيران بسرعة مذهلة . سرعان ما وصلت إلى سقيفة التجفيف . تبينت بذهول الخطر الذي كان يحيط بها... وكل ما سيلحق بها من خسارة . ليس مشروعها فحسب لكن بيتها ايضا ، إذا ما اتسع نطاق الحريق . وحياتها . ومع كل ذلك ظلت واقفة ، حيث كانت لأنها غير قادرة على الحركة إطلاقا . ثبتتها السنة النار الحمراء والصفراء ، والقصف المشؤوم لصوت أخشاب السقف الجافة تلتهمها السنة النار الثائرة . عاجزة عن أن تفعل أي شيء سوى أن تقف هناك تراقب عالمها باسره يتحطم كلية . رات السنة النار تنطلق من باب الغرفة والأخشاب المتقدة تهوي فوق حظيرة التجفيف سمعت عن بعد صوت سيارة إطفاء . التفت راسها نحوها لحظة قصيرة شدت السنة النار إليها بعدها كل انتباها . راقبتها تلتهم كل شيء عملت من أجله ، بينما أسرعت سيارة الإطفاء مقتربة من المكان .

كادت تحيط بها دائرة من السنة اللهب عندما توقفت سيارة الإطفاء

فجاة بصوت منذر في الفناء حيث انتزع سائقها نفسه مسرعا إلى الخارج ، وعبر المسافة الفاصلة بينهما ، وحملها من فوق الارض في اللحظة التي هوت فيها إحدى دعامات السقف الخشبية الثقيلة المتقدة واستقرت فوق البقعة التي كانت واقفة عليها .

صاح "نيل" بقسوة :

- ايتها الحمقاء المجنونة ! ما الذي تعتقدين انك تفعلينه بحق السماء ؟ الا تتفهمين الخطر المحدق "؟

الخطر ... ؟ اي نعم . تعلم كل شيء عنه . اتسعت عيناها واقتم لونهما . تركز بصرها عليه في ذهول ماساوي بينما حاولت أن تتحرر من قبضته مستخدمة اظفارها هذا الرجل هو الخطر ... الخطر والعذاب وسعادة فوق الاحتمال جميعها متحدة معا .

ورغم محاولاتها اليائسة لمقاومته رفض أن يطلق سراحها.

طوقها بذراعيه بشدة شلت حركة ذراعيها . رفعها إلى أعلى وحملها بعيدا عن رجال الإطفاء في زيهم المعروف وقد انتشروا فجاة في ارجاء المكان.

توقف "نيل" امام أحدهم ، وسمعته "رو" يقول بادب جم :

- " لا ارى ان بوسعكم ما يمكن عمله لإنقاذ المباني الملحقة بالكوخ "

- " لا . هذا من غير المحتمل . كم عدد سكان المنزل ؟"

- " واحدة فقط وهي هنا معي . ساخذها الآن إلى منزلي" ثم حملها بين ذراعيه متجها إلى السيارة . وقبل أن يضعها فوق المقعد المجاور لمقعده ، رجته بصوت أجش :

" هوراشيو"

واجابها بصوت غليظ :

- " في مؤخر السيارة . يبدو انه اكثر تعقلا من سيدته ماذا بحق السماء كنت تفعلين بوقوفك هناك هكذا ؟ الم يخطر لك ببال انه كان من الممكن ان تحترقي حتى الموت ؟"

اكدت كلماته لها حقيقة الخطر المحدق بها اكثر مما افلحت النيران في أن تفعل . ارتجفت ثم وهنت إعياء بفعل الصدمة وأخذت ترتعد ببرودة ، وتضم ذراعيها حول صدرها متنبهة فجاة إلى ما كانت ترتديه .

- " لا يمكنني ان اذهب على هذه الحال . اريد شيئا ارتديه "

- " لن تدخلي المنزل . ليس قبل ان يعلن فريق الإطفاء انه يمكنك ذلك. سالها وهو يبدا تشغيل المحرك ." ماذا بحق السماء كنت تفعلين يا "رو" ؟ لم تتصلي حتى برجال الإطفاء لتبلغيهم باندلاع النيران . اليس كذلك ؟ لو لم أر السنة النار واتصل بهم هاتفيا ... "

- " انت الذي اتصلت بهم ... ؟"

- " نعم . كنت قد خرجت للتمشي ... "

- " في الثانية صباحا ؟"

تملكتها موجة ارتعاد عنيفة ، فاغمضت عينيها عاجزة عن مواصلة استفساراتها . أحست بالإعياء إزاء ما تبينته من الخطر الذي كان يهددها ذلك الخطر الذي انقذها "نيل" منه ... ليحملها إلى آخر اكثر خطورة وضراوة . من المحتمل أن تحترق بلهيب حبها له ، كما كان من الممكن أن يحرقها ذلك اللهيب الذي يلتهم بيتها الآن ، ومن ذا الذي يمكنه أن يخلصها منه ؟؟

الفصل التاسع

بينما قاد "نيل" سيارته متجها إلى الـ"كورت" كانت انطباعات "رو" عن المناظر الريفية من حولها مشوشة غير واضحة . اضفى القمر على صفوف الخضرة من حولها ضوءا فضيا جميلا . صاحت أطر السيارة اعتراضا عندما انعطف بشدة يسلك الممر الخاص المؤدي إلى المنزل .. تارجحت "رو" في مقعدها بإعياء متمنية لو انه يخفض سرعة سيارته. ولكنها خشيت أن تطلب منه شيئا ، عندما نظرت إلى وجهه وتبينت فيه مدى التوتر والغضب. رات الشكل الخارجي للـ"كورت" يلوح أمامهما عند نهاية الممر مالوفا وغير مالوف لها في بعض النواحي .

أوقف "نيل" السيارة وحل حزام مقعده بحركات مضطربة غير متسعة ، وقبل أن تمد يدها إلى حزام مقعدها كان قد وصل إلى جانبها من السيارة يفتح الباب ، ويمد يده إلى داخلها ليفعل عنها ذلك ، ثم يرفعها بين ذراعيه دون ما تكلف .

قالت تعترض :

- " يمكنني أن أسير ، لكن الكلمات ضاعت فوق صدره ، وغرقت في

خفقان قلبه الشديد .

لماذا هو غاضب منها إلى هذا الحد ؟ لأنها افسدت تمشيته ؟ هكذا أخذت تتساءل في اضطرابها : الآن عليه أن يمد لها يد العون مرة أخرى ؟ أم لأن ذلك من شانه أن يفرض عليه قربا منها لا رغبة له فيه ؟

ذهلت إذ تبينت أن الباب الأمامي للمنزل كان مفتوحا عن آخره .

- " عندما رأيت السنة النار عدت إلى هنا كي اتصل بك هاتفيا. وعندئذ فقط ظننت أن من الممكن أن تكوني من الحماقة بحيث تفكرين في التعامل مع النار بنفسك ".

دخل إلى الرواق ، وأضاء المصابيح ، ولاح لعيني "رو" على الفور المحيط المالوف للحجرة ..

- " عندما لم تجيبي الهاتف ظننت ... "

واستشعرت "رو" الرجفة التي سرت بداخله ، تقلص عضلاته وتجعل اليد الممسكة بها تحكم قبضتها عليها إلى حد الألم الغائر بجسدها .

سألها على نحو مفاجئ :

- " بحق السماء يا "رو" ! ما الذي جعلك تكونين هناك حتى هذه الساعة من الليل ؟"

اشتد نبض أحد العروق في صدغه وعندما نظرت راتهاشديدة الاحمرار . سرى في عظامها شعور دافئ بالمشاركة والحنان فقالت برقة:

- " لم أكن . أعني لم أكن أعمل . أيقظني "هوراشيو" . ظل ينخر الباب بأظفاره ويعوي . ظننت أن ثعلبا أو حيوانا آخر لابد أن يكون هناك بالخارج . لم أستطع تهدئته . لذا اضطررت في نهاية الأمر أن أخرجه ، وأخرج معه عندئذ سمعت صوت السنة النار ، وشممت رائحة الدخان .

- " كنت بالمنزل طوال الوقت . "

أنزلها على قدميها فجاة، وأطال النظر إليها . " لماذا إذن لم تبقي هناك بحق السماء ؟ ما الذي أصابك حتى تندفعي إلى هناك ؟ ألم تقدري الخطرالذي تضعين نفسك فيه ؟"

أجابته بصدق :

www.elromancia.com

- " لم افكر فيه ابدا .

احست بارتعاد غريب الآن ، وقد تركها تقف على قدميها . " كل ما امكنني التفكير فيه هو الأزهار تلك التي قطفناها قبل العاصفة . اردت ان اخرجها إلى الفناء ".

سمعت "نيل" يقول بعناء :

- " انت تمزحين ، هل تعنين حقا ان تخبريني بانك خاطرت بحياتك وبقواك العقلية لتنقذي حفنة من الأزهار ؟"

زاد نبض عرق صدغه واشتد وبدت عيناه سوداوين ثورة ، لكن "رو" نفسها كانت غاضبة الآن . غاضبة جدا بحيث لا تابه بما كانت تجازف به عندما أجابته بحدة :

- " حفنة ازهار ؟ ربما انها لا تعني لك اكثر من ذلك ، لكنها بالنسبة لي المعيشة . لم يكن من الممكن ان اتركها تتحطم . ليس بعد كل ذلك الجهد والعمل المضني الذي بذلناه لإنقاذها . كان بسقيفة التجفيف ربح عام كامل تقريبا . وكان لابد لي من أن احاول إنقاذه ."

- "ربح عام كامل "

تثاقلت انفاسه الآن ، بينما كان ينظر إليها على نحو جعلها تشعر ، وكانها مصارع حديث العهد بالحلبة ، في مواجهة ثور خطير ثائر . نظرت إليه بحذر دون ان تبعد عنه نظراتها . سالها بغلظة " : وكم على وجه التحديد يبلغ ربح العام الكامل ؟"

تبدد غضبها بذات السرعة التي بدا بها ، وكانت من التوتر بحيث لم تستطع ان تكذبه القول . قالت متلعثمة وهي تكاد تجرؤ على النظر إليه ، عندما شاهدت الغضب يسيطر على ملامحه :

- " ما بين الآلاف الخمسة والستة من الجنيهات "

فاجابها بانفعال :

- " خمسة او ستة آلاف جنيه ؟ عرضت حياتك للخطر من أجل خمسة او ستة الآلاف جنيه ؟ تعالي إلى هنا " كاد يجذبها إلى داخل حجرة المكتب ، واجلسها فوق أحد المقاعد . ثم قال :

- " دعيني القنك درسا في الاقتصاد ، لو انك استثمرت المبلغ الذي عرضته عليك في مقابل الأرض سيدرعليك دخلا سنويا يزيد بكثير على الخمسة او الستة الآلاف جنيه ".. علمت "رو" صحة ما يقول . لم

يكن لديها دفاع تدحض به حجته، اوالنظرة التي قذفها بها . كانت تعلم منذ البداية، أن الثمن الذي عرضه هو ، وذلك المقاول لشراء ارضها سيساعدها على ان تحيا حياة مريحة نسبيا، وبدون ذلك العمل الشاق الذي تتكبده الآن. لكن ان تتنازل بعد كل ما فعلت ، وان تطرح جانبا كل الجهد الذي بذلته كي تحقق من مشروعها الصغير نجاحا بدا لـ"رو" وكانها تدير ظهرها لكل شيء تعلمته من زواجها المشؤوم بـ"چوليان". كان ذلك سيبدو وكانها تتحول إلى تلك الفتاة المدللة المندفعة التي كانتها يوما ما .

نظرت إلى "نيل" وكادت الا تراه ، غير مدركة المشاعر التي عكستها كابة نظرتها ..

سالها بنبرة غلظة :

- " لماذا ؟ لماذا تعذبين نفسك هكذا ؟"

مد يده نحوها قابضا على يدها ، ثم على رسغها ، رافعا راحتها اولا إلى أعلى ، ثم اظفارها حتى يجعلها تنظر إليه .

- " فكري فيما تفعلينه بنفسك يا "رو" ، كم من السنين يمكنك ان تواصلي الضغط على نفسك هكذا ، كما تفعلين الآن . تعملين بمفردك جميع ساعات اليوم تقريبا - وباي هدف ؟"

فاجابته وقد اهتدت اخيرا إلى صوتها :

- " من أجل هدف اكثر اهمية بكثير من المال . من أجل اعتدادي بذاتي ، واحترامي لها يا "نيل" . من أجل حقي في ان اثبت لنفسي ان بوسعي أن اكون مستقلة ، ومكتفية ذاتيا على حد سواء".

فسالها ساخرا :

- " وهذا مهم جدا لك ، أليس كذلك ؟ الم يخبرك احد من قبل ان لا رجل ، ولا امراة يمكنهما ان يعيشا في جزيرة من أجل ذلك يا "رو" ؟

من المؤكد ان ذلك قيل لها ، ولمرات عديدة متعددة على حد ذاكرتها - عندما حذروها من العزلة التي ارادت ان تحول حياتها إليها .

- " حسنا ، حقيقة انك جرحت وبشدة . لكن مما لا شك فيه ان هذا لايعني أن عليك ، أن تديري ظهرك إلى بقية الجنس البشري ابد الدهر؟"

قالت وهي ترتعد قليلا بتاثير قوة كلماته :

- " لم افعل ذلك ".

واجابها :

www.elromancia.com

- " بل فعلت يا "رو" . لقد اقمت جدارا بينك وبين سائر البشرية . قلت لنفسك : إن لا حاجة بك إلى أي إنسان ، أو أي شيء ، وصممت على الا تسمحي لكائن من كان باختراق ذلك الحاجز الذي اقمته حماية لذاتك . "

قاطعته بحدة :

- " كف عن تحليلي نفسيا يا "نيل" لا لشيء إلا لان حياتي لا تطابق الاسلوب المعتاد لامرأة في مثل سني - لافتراض أن لا زوج لي ولاأطفال- لا يعني ذلك انني على جانب الخطأ ".

فاجابها ساخرا :

- " لا . لا يعني ذلك ".

واندفع اللون إلى بشرتها للأسلوب الذي كان ينظر به إليها .

تجاهلت بحماقتها وعدم اكتراثها إشارة التحذير التي أتتها من ذهنها لتسال في يأس :

- " عم تتحدث على وجه التحديد يا "نيل" ؟"

- " عن التاثير الذي لك على مشاعري ، ثم التنكر لي . عن انك تدعيني اقترب منك جدا ، ثم لا تسمحين بما هو أكثر اقترابا . عن انك عرضت حياتك راضية غير متعقلة للخطر ، بدلا من أن تسالي مساعدة. الا ينبئك ذلك بشيء عن نفسك يا "رو" ؟"

أجابته بهدوء وهي فخور بانتظام نبرات صوتها :

- " إنه محض حبي لاستقلالي الذي أنا واثقة به "

قال يقلدها بما هو أشبه بالقسوة :

- " تحبين استقلالك ، مد يده نحوها كما لو كان ليمسك بها ، ثم تراجع بدفع أصابع متوترة إلى شعره ، ثم التفت لينظر إليها ، وقد ارتسم الغضب والعناء جليين على وجهه . قال " لن يفيد هذا أيامنا . أرى انه من الأفضل أن نحاول النوم لما تبقى من الليل . "

نظرت "رو" تلقائيا من خلال النافذة . كان الفجر قد بدأ يضيء الجو. هزهاارتعاد عندما تبينت أن أفكارها لم تتجه مرة واحدة إلى بيتها منذ أن وصلت إلى الـ"كورت" . وكما لو كان "نيل" قد قرأ ما يدور بذهنها حين قال بهدوء :

- " فور أن يكون لدى رجال الإطفاء ما يريدون إحاطة علمنا به سوف يتصلون بنا . أعطيتهم رقم الهاتف هنا . "

أحس جزء منها بوجوب الاعتراض على توليه الأمر على هذا النحو المتعالي ، بينما شعر الجزء الاكبر منها بالارتياح إزاء اضطلاعه به .

مضى زمن طويل منذ أن كان لها من تركن إليه . بوسع "رو" أن تخدع العالم كله ، لكن لا يسعها خداع ذاتها . هناك شيء بداخلها، ربما عيب في شخصيتها هو ما جعلها تتوق إلى أن تقر برضاها عن أن يحمل عنها مشكلاتها ، وإن كان على نحو مؤقت..

وبدلا من ذلك قالت له :

- " لا حاجة بك إلى أن تصحبني إلى الطابق العلوي .يكفيك أن تخبرني بالحجرة التي أنام فيها "..

هز كتفيه :

- " اختاري الحجرة التي تروق لك جميعها معدة . ابتغت المنزل بكامل محتوياته "

سالته مسرعة :

- " أين تنام ؟"

ثم تورد وجهها عندما رات العبث يقفز إلى الحياة في عينيه . واجابها غائظا :

- " أخيرا ! رغم انني غير واثق بانه قد تبقى من الليل ومن الطاقة ما يمكنني من أن أفي دعوتك حقها كاملا . "

لم تعرف "رو" أيهما كان أقوى ، غضبها أم حرجها ؟ كان يعرف جيدا انها لم تسال عن غرفته حتى تقاسمه إياها . بل لسبب أبعد ما يكون عن ذلك . وإذ سيطرت على غضبها بقدر ما امكنها قالت بنبرة فاترة :

- " إذا كان من المفروض أن تكون هذه مزحة . فلا مذاق لها ".

تمنت في الحال ، لو انها لم تتسرع عندما راته قادما نحوها ليقول بهدوء :

- " من الذي يمزح ؟ لقد راودتني رغبة في أن تشاركيني فراشي منذ اللحظة التي وقع بصري فيها عليك . "

بدا صوته فجاة أقرب إلى خرخرة حيوان مفترس مما أصابها بالتوتر . قاومت التاثير الذي مارسه عليها بشدة ثم قالت بصوت مرتعد :

- "لو كان مفروضا أن أجد مجاملة في طيات هذا الاعتراف فلدي اخبار لك "

www.elromancia.com

فقاطعها قائلا بنبرة مغوية :

- " لا تنطقي بها وإلا لكنت تكذبين نفسك ".

وعندما قفزت كلمات النفي الحادة إلى لسانها اضاف بهدوء :

- "جسدك يفضح ما بداخلك يا "رو" وحديث الأجساد اقوى من اي كم كان من الكلمات ".

تبينت بعد فوات الأوان صدق ما يقول . فقد فضح قميص نومها القطني العادي إدراكها وجوده كرجل . قالت بنبرة مهذبة :

- " إنني متعبة . ساوي إلى الفراش . "

التفتت بعيدا عنه نحو الباب . كادت تبلغه قبل أن تتذكر انه لم يخبرها باي الحجرات كانت حجرته . وعندما بدأت تتوقف بدا وكانه يقرأ ما يدور بذهنها، لانه قال بصوت رقيق :

- " لماذا لا اتركك تعرفين بنفسك اي الحجرات حجرتي ؟ "

غضبت عندئذ ، وكادت سيطرتها على ذاتها تنهار ، ليس بفعل وجوده فحسب ، بل باثار الصدمة المترتبة على الحريق الذي نشب التفتت إليه تقول بحدة :

- " السبب الوحيد في رغبتي في ان اعرف اي حجرة حجرتك يا "نيل" هو كي اتحاشى الاقتراب منها ، إلى ما يقرب من نصف الكيلو...

رأت علامات الغضب تلوح في وجهه ، وبينما توتر الجو بينهما إلى حد الخطورة ، علمت انها قد تسرعت في النطق بتلك الكلمات التي لا يمكنها الآن محوها .

قال يذكرها :

- " لم يكن هذا هو شعورك ، صباح ذلك اليوم . كنت راغبة في أن أنالك حيث كنا نقف "ومع شدة رغبة "رو" في ان تقذفه بإجابة باردة ، لم يكن بوسعها ان تقول شيئا ، أو ان تبدي دفاعا ، وهذا ما لاح في عينيها عندما التفتت نحوه، ترمقه بنظرة أخيرة . لم تدرك ما باحت له عيناها به ، ولكنها رات لون عينيه يقتم قليلا ، والغضب ينصرف عنهما ، بينما اتخذ مقدار نصف خطوة نحوها . ولكنها كانت قد مرت باكثر من موقف حرج خلال تلك الليلة . لذا وقبل أن يصبح على بعد بضعة سنتيمترات منها كانت قد غادرت الحجرة ، واصبحت في وسط الرواق.

تحاشت متعمدة ان تشغل الحجرة التي كانت لها من قبل ، علما

منها بان "نيل" يعتزم تخصيصها لوالدته ، مفضلة عليها إحدى حجرات النوم الأخرى . فتحت اول باب وصلت إليه تقريبا . تاكدت أولا من أن تلك الحجرة لم تكن مشغولة ثم اتجهت نحو الستائر وأسدلتها ، ودخلت الحمام الملحق بها . عندئذ فقط ، وعندما رات الباب بالجدار المقابل بالحمام تذكرت أن هذه إحدى الحجرات ذات الحمام المشترك مع الحجرة المجاورة لها . لم تابه بشيء . فعلى الاقل لم يكن بالمنزل سواها .. هي و"نيل" ، ومن شبه المؤكد انه يشغل حجرة النوم الرئيسية بالمنزل ، وقد كانت تعلم انها تقع على الجانب البعيد من الممر .

اغتسلت مسرعة وقد هدأ الماء الساخن توتر عضلاتها لم تكن سعيدة بفكرة ارتداء قميص نومها المتسخ مرة أخرى ، لكنها اضطرت إلى ذلك من قبيل الحذر . في الصباح سوف تضطر إلى أن تطلب من "نيل" أن يصطحبها في سيارته إلى بيتها لتحضر بعض الثياب ، رغم أنها تبغض فكرة أن تصبح مدينة له بالمزيد ، ثم وبينما جففت نفسها وبدأت ترتدي قميص نومها لاح لها فجاة انه قد لا يصبح لها بيت بحلول الصباح .

كانت قد رقدت تحت أغطية الفراش واطفأت الضوء عندما سمعت قرعا خفيفا على باب حجرة نومها . وقبل أن تستطيع قول اي شيء فتح الباب ودخل "نيل" منه حاملا كاس ماء ثم قال باقتضاب :

- " أحضرت لك قرصا منوما " وضع الكاس على المنضدة المجاورة للفراش ، وهو يقول بإصرار عندما رآها تفتح فاها لتعترض .. بدون نقاش إنني في حاجة إلى بعض النوم هذه الليلة، حتى لو لم تكوني أنت بحاجة إليه . ما زلت اشعر بتاثير الرحلة بالطائرة النفاثة " ..

- " تاثير الرحلة ؟" وارتفع حاجباها دهشة " هذه هي المرة الأولى التي أسمع فيها عن إنسان يتاثر برحلة طيران إلى لندن "

أجابها بوجوم بدا من خلاله عدم تقبله سخريتها :

- " بالتاكيد ، لكن التاثر الذي اتحدث عنه قد وقع لي في رحلة عودتي من "نيويورك" عبر المحيط الأطلسي".

ابتلعت "رو" القرص المنوم ، وبضع رشفات من الماء .

قال لها بنبرة شبه ضارية :

- " كنت أحضر اجتماع عمل هناك . في الواقع كان من المفروض أن

أكون هناك حتي هذه اللحظة .

كان ينظر إليها كما لو كان يمقتها هذا ما تبينته "رو" بالم مفاجئ .

سالها بهدوء تام :

- " ألا تسالينى عن سبب عودتي محتملا هذا القدرمن المعاناة ، ولن أقول شيئا عن العاملين التنفيذيين الذين كانوا بصحبتي ؟ لم يكونوا سعداء جدا برحلة ذهاب إلى نيويورك والعودة منها وهي ما تعني حوالي الأربع والعشرين ساعة في الجو. تعلمين لماذا ؟ لاحت لي تلك الفكرة الغريبة أنه ربما أنك تفتقدينني ... ربما أنك تنتظرين عودتي بلهفة حتى نبدأ حيث توقفنا صباح ذلك اليوم . وبدلا من ذلك ... " ثم استطرد بصوت أجش " أجدك موشكة أن تحترقي حتى الموت "

أجفلت "رو" إزاء الصورة التي رسمتها كلماته

- " لكنك لا تريدينني يا "رو" . أليس كذلك ؟ كان كل ذلك لا يعدو كونه لعبة "

لعبة ؟ لو أنه يعلم - لكن لا يمكنه أن يعلم يتعين ألا تدعه يعلم . قالت له بصوت متعب :

- " لو كنت أريدك . لنمت في حجرتك ، أليس كذلك بدلا من أن اختار حجرة بعيدة عن حجرتك بماأمكنني أن أجعلها؟"

رمقها بنظرة غريبة ثم بدا موشكا أن يقول شيئا ، لكن "هوراشيو" دخل الحجرة في ذات اللحظة يطلب اهتماما لا من "رو" بل من "نيل" الذي بدا فجاة أنه قد ارتبط به . رأى "نيل" نظرة الدهشة في عينيه وقال ساخرا :

- " يبدو أن هذا الكلب - على خلاف سيدته - يعرف أصدقاءه الحقيقيين " ثم أضاف قائلا : " تصبحين على خير يا "رو" أتمنى لك أحلاما سعيدة " وبعد ما انصرف أخذ ذهنها ينبض بعشرات الأسئلة التي لم تجد لها إجابة لديها. لماذا يوحي لها بانه قد قطع رحلته إلى "نيويورك" بقصد أن يكون معها ، في الوقت الذي يعلم كلاهما فيه أن هذا الأمر أصبح مستحيلا . لماذا يدعي أن رغبته فيها من القوة بحيث تدخلت في حياته العملية ، أم أنه يرى أنها من الحماقة والغرور بحيث تصدق هذا الذي يقوله لها ؟ هل يعتقد أن بوسعه إطراءها حتى يأتي بها إلى فراشه ؟ ألا يعرف أن لا حاجة به إلى إطرائها أو خداعها، وأن لمسه إياها فقط أو نظره إليها فيه الكفاية والضمان ؟ بدأت

افكارهاتضطرب مع بدء تاثير القرص المنوم عليها . ثقل جفناها فجاة حتى اضطرت إلى أن تغمض عينيها .

فتحت "رو" عينيها ببطء وعدم رضا وهي تتمطى بارتياح على اثر شعورها بانها قد استغرقت في نوم عميق ولمدة كافية من الزمن . عندما بحثت في أرجاء الحجرة عن ساعة تعرف منها الوقت تجعد جبينها في تقطيب طفيف ، إزاء ذكرى غامضة ، غير مستقرة ، لابد أنه كان حلما . كانت قد رأت حلما بان النيران اوشكت أن تحتويها ، وان جزعها دفعها إلى صياح حاد . امتدت إليها على اثره ذراعان قويتان رفعتاهابعيدا عن منطقة الخطر ، وضمتاها إلى جسد رجولي عضلي وجدت فيه الأمن والسلوى . عندما جلست فوق الفراش المزدوج الفسيح ، رأت مجموعة من ثيابها تنتظرها فوق أحد المقاعد .

لابد أن "نيل" قد ذهب إلى المنزل وأحضرها لها ، أبعدت أغطية الفراش عنها حتى تغادره ، ثم تيبس جسدها عندما وقع بصرها على الوسادة المجاورة لوسادتها التي كانت تحمل آثار رأس شخص ما.

ارتعدت ذهولا . هل هاتان الذراعان اللتان أمسكتا بها لم تكونا نسجا من خيالها فقط ؟ هل جرؤ "نيل" على أن يستغل نومها تحت تاثير العقار ، ليشاركها هذا الفراش ؟ وباي هدف ؟ تساءلت ساخرة من نفسها عندما نهضت واهنة على قدميها : من غير المحتمل أن يكون "نيل" محروما من صحبة النساء إلى الحد الذي يدفعه إلى مغازلة امراة شبه مخدرة، خاصة إذا كانت تلك المراة قد أظهرت رغبتها في أن يكون عشيقا لها .

هل نام "نيل" فوق هذه الوسادة ؟ تلمست أصابعها الموضع المنبطح بالوسادة وهي تتحرك برقة فوق شكل رأسه لتتحرك بداخلها موجات رغبة دقيقة .. حلم أم واقع ؟ لم يمكنها أن تنكر أن هاتين الذراعين اللتين طوقتا جسدها قد جلبتا لها الراحة والدفء ، طاردتين عنها جميع المخاوف. أصابها مزيد من الارتعاد عندما تساءلت عن شعورها إذا ما قضت جمع لياليها بين ذراعي "نيل" ، ثم قالت لنفسها : إنها حمقاء لإضاعة وقتها في أحلام يقظة بامر من غير المحتمل أن يكون أبدا .

سارت إلى النافذة وهي تنظر من خلالها. قياسا على ارتفاع الشمس، لابد أن يكون هذا وقت الغداء تقريبا . لقد نامت طوال الفترة

www.elromancia.com

الصباحية ، وهو ما لم يسبق لها ابدا ، ومع ذلك لم تنكر انها قد افاقت من نومها هي تشعر براحة وانتعاش .

امكنها ان ترى من خلال النافذة كوخها الذي يكاد اعلى سطحه يرى من فوق الجدار المرتفع الذي يفصله عن الحقل وبدات معدتها تتقلص توترا . ما مدى الضرر الذي ترتب على الحريق ؟ هل امتد إلى الكوخ ايضا ؟ هل حطم المخزن كلية ... وماذا عن سقيفة التجفيف ؟

شعرت برغبة ملحة في ان تعلم بما يجري . ولذا اسرعت إلى الحمام وارتدت ثيابا نظيفة . لم تر احدا في طريقها إلى الطابق السفلي .تحرقت رغبة في قدح من القهوة .. رات باب حجرة مكتب "نيل" مفتوحا وسمعت اصوات رجال تنبعث من داخله . دخلت حجرة المكتب ، ثم توقفت عندما رات ثلاثة رجال في زي رسمي يتحدثون مع "نيل" . اثنان منهما من رجال الشرطة ، والثالث علمت انه ربما كان ضابط الإطفاء..قال "نيل" مقاطعا الحوار ليلتفت إليها :

- " آه .ها هي ذي "رو" امسك بذراعها جاذبا إياها برفق إلى داخل الحجرة ، حيث جذب مقعدا اجلسها فوقه قبل ان تتنبه إلى ما كان يفعل بها . قال احد ضابطي الشرطة مخاطبا "رو" :

- " أسف ان اضطر إلى إمطارك بهذه الاسئلة ، بينما انت لا تزالين تعانين صدمة الليلة الماضية .. لكنني ارى ان هناك بعض الاسئلة التي يتعين الإجابة عنها .

حولت "رو" بصرها عنه لتقول لـ"نيل" بإلحاح :

- " المنزل والمخزن ... "

أجابها ضابط الإطفاء بهدوء :

- " منزلك آمن للغاية يا آنسة "لايفسي" . أعتقد أن المخزن قد خرب من الداخل تقريبا ، رغم حرصنا على إنقاذ البناء ذاته . امتدت النيران إلى سقيفة التجفيف والتهمت قدرا من مخزونك ، لكن البناء ذاته لا يزال متماسكا " .

أحست "رو" بوهن شديد ، ولكنها سعدت ان كانت جالسة والتفتت إلى "نيل" فلاحظت وجود براد قهوة ضخم فوق المكتب قبالتها .. بدا لعابها يسيل ، وجذب "نيل" الصينية إليه وملأ لها قدحا بدون ان يسالها عما إذا كانت تريد قدرا منها .

أعلن احد ضابطي الشرطة قائلا :

- " سوف نتخذ الإجراءات الجنائية بالتاكيد ، لكنني ارى ان تطالبي التامين بالتعويض عن الضرر " .

- " إجراءات جنائية ؟ "

وظلت "رو" تنظر إليه بإمعان وذهول

وأجابها الرجل غير منتبه إلى دهشتها :

- " نعم . لحسن حظنا ان مستر "ساكستون" قد اهتم بوضعك فقد بدا يجري بعض التحريات . لانه دون المبادرة التي امكنه ان يوافينا بها لما امكننا الاهتداء إلى الجناة بمثل هذه السرعة "

حولت "رو" بصرها من ضابط الشرطة إلى "نيل" وقد بدا عليها الاضطراب ثم قالت :

- " إني آسفة ، ولكنني لا افهم شيئا . شب الحريق مصادفة اليس كذلك؟"

تبين لها امران في ذات الوقت : اولهما انها كانت ترتعد من قمة راسها حتى إخمصي قدميها ، والثاني ان "نيل" يمسك .. بيدها ، وان الحرارة المشعة من نقطة التلامس تلك تزيد جهازها العصبي المرهق توترا واضطرابا .

أجابها ضابط الشرطة بجدية :

- " ليس بالضبط . واقع الامر ان الحريق قد بدا وكانه محاولة متعمدة لإرهابك . اخبرنا مستر "ساكستون" بان هذه ليست المحاولة الأولى ، وان كلبك قد تعرض في الآونة الاخيرة لمحاولة لقتله رميا بالرصاص . وبفضل المعلومات التي وفرها لنا استطعنا سرعة التصرف قبضنا على الرجلين اللذين اشعلا الحريق . وهما من المجرمين المسجلين لدينا وقد اعترفا بانهما ماجوران للقيام بهذه العملية من قبل "دافيد جنسين" "

دققت "رو" النظر إليهما ، وهي تقول :

- " المقاول ؟ لكن لماذا ؟ "

ثم التفتت إلى "نيل" لا افهم شيئامن هذا " ..

فاجابها "نيل" بنبرة حانية :

- " الامر غاية في الوضوح . عندما اصيب "هوراشيو" بطلقة نارية اجريت بنفسي بعض التحريات فتبينت ان احدا من اهل القرية لم يخرج للصيد في ارضي . لكن احدهم ذكر انه قد راى غريبين في

www.elromancia.com

شاحنة عتيقة تركاها تنتظر على جانب الطريق الرئيسي وعندما خرجا منها لاحظ ان احدهما يحمل بندقية . ما لم افهمه بادئ الامر هو من الذي لديه الحافز لإطلاق النار على "هوراشيو" ثم اجبتني بنفسك عن هذا التساؤل حتى دون ان تعلمي ".

سالته "رو" متحيرة :

- " كيف ؟"

- " ذكرت لي ان ذلك المقاول الذي كان قد تقدم لشراء ارضك وكوخك ، قد ابتاع رقعة من الارض الزراعية دون ممر او شارع يصلها بالطريق الرئيسي ، او اي طريق آخر، وبذلك يكون سبيله الوحيد لان يصل ارضه بذلك الطريق هو امتلاك ارضك بوسيلة ما وإذ كنت قد رايت بنفسي مدى تصميمك على عدم البيع ارتبت في الامر عندما علمت بان الرصاص قد اطلق على "هوراشيو" عمدا . الجميع يعلم مدى تعلقك بكلبك . لاح بذهني ان ذلك المقاول ربما قرر تنظيم حملة إرهاب ضدك حتى يحملك" على البيع له . وقد حقق الحريق له هدفين في ذات الوقت إرهابك والقضاء على مشروعك ." ثم اضاف على نحو غامض :

" كان هذا احد اسباب توجهي إلى لندن . لي اتصالات هناك استطعت من خلالها ان اتعرف على المزيد من اسلوب "جنسين" في إنجاز اعماله . وعندما علمت مدى افتقاره إلى السمعة الطيبة في اسلوب حصوله على الصفقات تزايدت همومي ".

سالته "رو" مرتعدة ، وقد نسيت تماما وجود آخرين بالحجرة :

- " لماذا لم تخبرني بذلك ؟

نظر "نيل" إليها حتى احمرت خجلا تحت نظرته الثابتة وسالها بهدوء :

- " هل كنت ستصدقينني ؟

كان هذا التحدي الصامت حقا له . لذا اجابته :

- " لا اعلم .. فالامر كله يبدو وكانه مستحيل الوقوع "

سالها "نيل" بوجوم :

- " حقا ؟ لم يكن لحريق الليلة الماضية نصيب من الخيال"

وتدخل ضابط الشرطة بهدوء قائلا :

- " لو امكننا ان نطرح عليك بعض الاسئلة فقط يا مس "لايفسي" لن ناخذ من وقتك الكثير " ..

ولم يستغرق الوقت طويلا . وأجابت "رو" عن الاسئلة بافضل ما امكنها . فقد كانت من الذهول والاضطراب إزاء ما كشف "نيل" لها عنه، حيث لم يمكنها ان تعير الأسئلة الاكثر اهمية التي طرحها... ضابط الشرطة عليها القدر اللازم من الاهتمام .

التفتت نحو "نيل" على اثر انصراف الرجال الثلاثة وهي تقول مرتعدة :

- " من الواجب ان اعود إلى الكوخ . يجب ان اقف على الاضرار التي وقعت . كنت بالغ الكرم معي ولكن ... "

وأجابها "نيل" بادب جم :

- " ساصطحبك إلى هناك بالسيارة ، لكن بعد ان نتناول شيئا من الطعام ".

الآن وقد استشعرت حاجة إلى رقته وحنانه اكثر من اي وقت . كي يساعداها على اجتياز الصدمة التي تلقتها من هذه المعلومات، بدا متباعدا عنها عن قصد . من الصعب عليها الآن ان تصدق ان هذا الرجل الذي تغيرت انطباعاته عنها إلى هذا الحد . كان يضمها إلى صدره على مدى الليل كله . لابد ان ذلك كان حلما - قالت لنفسها - والانبعاج الذي راته في الوسادة الأخرى ربما كان من آثار نومها المضطرب .

- " لا داعي لان تتكبد مزيدا من العناء يا "نيل" . لقد فعلت لي ما يكفي ويزيد ..

بدات ترتعد فجاة عندما لاح لها ما كان من الممكن ان يصيبها لولا تدخله .. سمعت "نيل" يطلق لفظ سباب عندما راها تترنح على قدميها..

سالها بغلظة :

- " ما الذي تحاولين ان تفعليه بنفسك بحق السماء " ثم اضاف بقسوة اخافتها " ليس عليك ان تثبتي لي شيئا يا "رو" . اعرف مدى تقييمك استقلالك ، ومدى مقتك وكراهيتك فكرة الاعتماد على غيرك، وبخاصة إذا كان ذلك الغير هو انا".

لم تعلم "رو" ما قالته او فعلته لتستحق ثورة غضبه . أما عن استقلالها فكادت تنفجر ضاحكة ... فقد طرحته عنها في ذلك اليوم الذي دخل فيه حياتها ...

الفصل العاشر

مرت ثلاثة أيام قبل أن يقرر الطبيب قدرتها على زيارة الكوخ ، على أن يتم ذلك تحت رعاية "نيل" وإشرافه .. بدا أنها قد استنشقت قدرا من الدخان في أثناء محاولتها المحمومة لإنقاذ مخزونها من الأزهار نتج عنه إصابة صدرها بالتهاب ألم رئتيها ، وأوهن جسدها على نحو لم تعهده من قبل .

كانت من الضعف حتى أنها بعد أن قامت بجولة حول المنزل ، وتحققت بنفسها من أن النيران لم تمتد إليه ، كانت سعيدة بذراع "نيل" وهي تستند عليه ، بينما يرافقها في العودة إلى سيارته . كان رأسها ينبض ألما . رأت على جبينه العبوس الذي أصبح مألوفا لها الآن ، بينما كان يوائم بين خطاه وسيرها البطيء .

لا غرابة في نفاد صبره معها . لابد أن يشعر بإعياء ومتاعب مسؤوليته عنها ... تلك المسؤولية التي لم تلق عليه باي حق كان . حقيقة أنه أقرب جيرانها ، وحقيقة أيضا أن الطبيب والشرطة قد راوا على حد سواء أن من الواجب والوضع الطبيعي أن تكون معه بمنزله وبذا لا يحق لها أن تتطفل على حياته الخاصة ... ولا على وقته .

لم تحلم منذ تلك الليلة به يضمها إليه ، حتى أنها استنتجت أن ذلك الحلم قد ترتب على نومها تحت تاثير ذلك العقار .

لو لم تكن "هنًا" في إسبانيا للجات إليها طلبا للعون ثم لاح لـ"رو" وهي تجلس فوق أحد المقاعد بالمستنبت أن تتساءل عما أصاب قوتها المعهودة ، وطاقتها . إنه رغم ما لها من المعارف فإنها لا تستطيع أن تلجا إلى إحداهن طلبا للعون الذي أسداه "نيل" لها .

كان وقته مثقلا بالمهام حتى أنها أعجبت بنشاطه واجتهاده إلى حد الحسد . تبينت في أثناء إقامتها بمنزله أنه حرص على الاتصال بمصنعه بـ"كامبريدج" يوميا عن طريق جهاز كمبيوتر متقدم التكنولوجيا مركب باحد المخازن .

حدث أن علمت أيضا في أثناء سيرها أمام باب حجرة مكتبه المفتوح في أثناء اتصال هاتفي أنه بالإضافة إلى المحاضرات التي يلقيها في موضوع علم الكمبيوتر المتقدم ، كان يعطي بسخاء وفي الخفاء لعدد من المؤسسات الخيرية ، وعلى وجه الخصوص تلك التي تمد يد العون إلى المعوزين اجتماعيا وماديا .

كان فريق من إحدى شركات النظافة يحضر مرة كل أسبوع إلى المنزل ولا يتركه إلا وهو في قمة النظافة والترتيب ، لكن باستثناء ذلك لم يكن له من يعاونه بشؤون البيت . فلم يستعن بمدبرة منزل مثلما فعل والدها . أعد وجباته بنفسه ، وأغلب الظن أنه قام بغسل ثيابه أيضا ، رغم أن "رو" كانت تشك في أنه المسؤول عن كي وتنشية قمصانه بهذا القدر من الإتقان .

لم تعرف في حياتها رجلا على هذه الدرجة من الاكتفاء الذاتي فوالدها ذلك العالم المتميز ، لم يستطع أن يعد لنفسه قدح شاي أما "جوليان" .. حسنا لقد تبينت فور زواجها به أنه يتوقع ممن معه من النساء العناية به كلية ..

أما "نيل" فلم يكن في حاجة إلى من تقوم عنه بالأعمال الروتينية المنزلية فحسب بل منعها بصفة قاطعة من أن تفعل ذلك . لا بد أنه يريد أن يوضح لها ، أن لا دور لها في حياته ، لم يلمح قط بما يفيد أنه لا يزال يرغب فيها . أما هي ففي محاولتها للسيطرة على حبها

المتزايد به رات أن عليها إما أن تجد وسيلة لاستبعاده من حياتها كلية، وإما أن تقبل أن قربه منها يعني على نحو شبه مؤكد أنها ستقضي بقية حياتها تعاني عذاب الحب من طرف واحد

كانت قد قضت القدر الأكبر من الفترة الصباحية بالمنزل في وجود مندوب شركة التامين الذي أكد لها ، أن الشركة ستدفع التعويض المناسب عما لحق بها من خسائر بسبب الحريق . أفادها كذلك أن شروط بوليصة التامين فيما يتعلق بالمشروع تقضي بمسؤولية شركة التامين عن توفير من يتولى العمل اليومي المتعلق بالعناية بالأزهار طوال فترة مرضها ، وعدم قدرتها على مزاولة ذلك العمل .

قطبت "رو" الآن وهي تفكر في هذا الشرط من شروط بوليصة التامين الذي لم تكن قادرة على أن تتذكره . كان من أسباب ارتباطها أن يكون هناك من يعتني بجميع أمورها ، ويرفع عن كاهلها كافة المسؤوليات فقد كان تاثير الحريق عليها أبعد مما كانت قد اعتقدت بادئ الأمر من الناحيتين العاطفية والصحية على حد سواء .

اصابها علمها بان شخصا ما قد تعمد إرهابها دون أن تعلم عن ذلك شيئا بخوف شديد . وعلى الرغم من عدم استعدادها لأن تقر بذلك لأي شخص كان ، ولـ"نيل" على وجه الخصوص إلا أن عدم رغبتها في العودة للإقامة بكوخها كانت تتفاقم يوما بعد يوم . فللمرة الأولى منذ وفاة "چوليان" شعرت برهبة شديدة من الإقامة بمفردها .

تململت في المقعد الخيزراني . كان "نيل" في "كامبريدج" لمباشرة اعماله وافتقدته كعادتها عند تغيبه ، لا يعني ذلك انه قضى وقتا طويلا معها ، إذ بدا وكانه يجتنب صحبتها ما أمكنه ذلك .

ربما كان افضل ما يمكنها عمله هو بيع الكوخ والأرض الملحقة به لتبدأ من جديد في مكان آخر . مكان آخر لا يعذبها وجوده فيه على نحو دائم . وكما أوضح "نيل" لها ، يمكنها أن تشتري بقدر من مبلغ البيع بيتا صغيرا تعيش فيه على عائدها من الاستثمار حياة مريحة . لابد أن يكون هذا البيت في الريف بالتاكيد ، لأن "هوراشيو" لن يمكنه اعتياد حياة المدينة ، وربما أمكنها أيضا أن تجد لها عملا .

وبينما هي تناقش مع نفسها هذا المشروع الذي تقضي به الحكمة

حضر "نيل" ..

كالمعتاد كان لرؤيتها إياه ذلك الأثر الفيزيائي المعين على جسدها ، وجاء رد فعله عليها فوريا قويا ، حيث إنهالم تجد بعد وسيلة للسيطرة عليه . التفتت بعيدا عنه متظاهرة بانها مستغرقة في مشاهدة المنظر المتاح من نافذة المستنبت . نادرا ما اتت إلى هذا الحجرة في الوقت الذي كان والدها فيه مالكا للـ"كورت" . أما الآن فرات فيها مرفا للراحة والأمان .

عندما سيطرت على مشاعرها بقدر كاف التفتت تنظر إلى "نيل" بحذر. بدا شاحبا متعبا ، انتشرت علامات الإرهاق حول عينيه .

سالته مدفوعة بقلقها عليه ، للتوتر الذي يضع نفسه فيه على نحو دائم :

- " الا يكون من الأيسر لك أن تعيش قريبا من المصنع ؟"

قطب غاضبا وهو يسالها :

- " ما زلت تحاولين التخلص مني ؟ أسف لكنني على غير استعداد لإجابتك إلى هذا المطلب . اضطررت إلى العمل الشاق طوال حياتي . توفي والدي وأنا بعد في السابعة . رايت والدتي تكدح لتوفر لنا المال الذي يحفظ لنا الحياة الكريمة ، اقسمت عندئذ على أن اغير تلك الأوضاع . والآن وقد حققت ذلك أجدني واثقا بانني لن اضيع وقت فراغي الثمين حبيس شقة في إحدى الأبنية شاهقة الارتفاع !

"يحين وقت في حياة الرجل ... والمراة ... يجد المرء نفسه فيه مضطرا إلى أن يحدد ذلك الذي يريده من الحياة ... والهدف الذي يجاهد من أجله . مزيد من النجاح ... مزيد من المال ... مزيد من الضغط للتوصل إلى مزيد من النقود .. أم شيء آخر ؟ عملي ناجح . بوسعي أن اكسب من المال ما يغطي احتياجاتي دون مزيد من الضغط والمشقة .

توصلت منذ اثني عشر شهرا إلى قرار ما ، نظرت حولي وإلى حياتي رايت ما جعلني اتوقف واتامل . إنني في الخامسة والثلاثين ناجح في أعمالي وثري . في خلال سنوات إقامتي ذلك المشروع ، تلافيت متعمدا التورط في أية علاقة راسخة لم يكن هناك الوقت لذلك .

وكان الأمر بالنسبة إليّ بمثابة مخاطرة ... التمست ما أمكنني من أعذار لأحول ما بيني وبين الإقرار بالواقع ، التف حول نفسه ينظر إليها مليا " هل أخبرك بما كان ذلك الواقع يا "رو" ؟ هل أخبرك بما علمته عن نفسي ؟ أرجو أن تعيريني سمعك لأن هناك في أخطائي مايمكنك أن تتعظي به ..."

لم يتحدث معها أبدا على هذا النحو لم يخبرها أبدا بشيء عن نشأته الأولى ، وعن أفكاره أو مشاعره . جف حلقها وفمها . " بدأت تبلل شفتيها بطرف لسانها وهي متوترة لا تدري ما إذا كان ما سوف تسمعه مرضيا أو غير ذلك .

- " نظرت حولي ، ورأيت أن العدد الأكبر من بين أقراني لهم زوجات وأسر ، لهم بيوت وهوايات .. يقومون بالرحلات ... باختصار شديد كان لهم وبوسعهم أن يفعلوا جميع تلك الأشياء التي استثنيتها من حياتي عامدا متعمدا . نظرت إليهم ونظرت إلى نفسي . وللمرة الأولى في حياتي سألت نفسي ، عما إذا كان الثمن الذي ... قررت أن أدفعه كمقابل لنجاحي مناسبا . وأرغمت نفسي على مواجهة واقع أنني لم أرفض التورط في أية ارتباطات عاطفية من أي نوع بسبب انشغالي بإقامة مشروعاتي ، إنما بسبب ذعري . ليس من أن أرتبط لكن من أن أفقد ... من أن أحب شخصا ثم أفقده... بذات الأسلوب الذي فقدت والدتي به والدي...

ترددت "رو" برهة طويلة ، بعد أن أصغت إلى حديثه المفعم بالمشاعر ثم سألته :

- " لهذا اشتريت هذا المنزل ؟"

- " اشتريت هذا المنزل ولاء لذاتي ... قطعت به عهدا مع نفسي - إذا شئت - بأن حياتي سوف تتغير لتشمل كافة ما افتقرت إليه فيما مضى . احذري من أن ترتكبي ذات أخطائي يا "رو".

قال على نحو مفاجئ " احذري من أن تستيقظي في أثناء الليل لتقفي على المعنى الحقيقي للوحدة التامة ".

ابتلعت لعابها بصعوبة شديدة وهي تتساءل عما عساه أن يقول لو أنها أخبرته بأنها قد عرفت الآلام المترتبة على مثل هذه الوحدة، لكنها

وبدلا عن ذلك قالت بنبرة مرحة :

- " أرى أنك وقد حصلت على المنزل سيكون هدفك التالي البحث عن الزوجة".

بدا قلبها يخفق بشدة عندما رمقها بنظرة فاترة ثم قال بهدوء :

- " أصبت الرأي جدا".

قالت مصممة على ألا تدعه يرى تأثير إجابته عليها :

- " لا أتصور أنك ستبحث بعيدا .فإني واثقة بأنه لا بد أن هناك عددا من النساء اللاتي تتمنين الزواج بك "

حاولت أن يبدو صوتها هازئا مشوبا بسخرية طفيفة في محاولة يائسة لأن تخفي الآلام التي تعتمل بداخلها .

- " على النقيض منك ... لست من النوع المرحب بالزواج . ألست كذلك يا "رو" ؟ فأنت تفضلين استقلالك على كل ما دونه " ..

لم تكن هناك وسيلة أوضح يؤكد لها بها أنها المرأة الأخيرة التي يمكن أن يأخذها في الاعتبار عند اختيار زوجته ابتلعت لعابها بألم ثم همست قائلة :

- " نعم . هذا صحيح . الزواج ليس من الأمور التي أريدها . لأنني على الأقل لست مثلك يا "نيل" . كانت لي تجربة فيه ذات مرة. " نهضت مهتزة لتقول " إذا كان لا يضايقك . أرى أن أتوجه إلى الطابق العلوي لأستريح".

راته يقطب :

- " هل لا تزال رئتاك تسببان لك المتاعب ؟ الطبيب ... "

فقاطعته بكآبة :

- " إنني متعبة هذا كل ما في الأمر " ثم أضافت بنبرة ساخرة يبدو أنك قد نسيت ، أن هذا ليس بيتي يا "نيل" وانني غير معتادة أن يشاركني محل إقامتي إنسان آخر ".

نهض أيضا وهو يرمقها بنظرة غضب وقد ارتسمت على فمه علامات ساخرة ثم قال بوجوم :

- " لا حاجة بك لأن تستطردي . تلقيت رسالتك".

لم تسترح "رو" بحجرة نومها كما سبق أن أخبرت "نيل" بل مدت

يدها تلتقط سماعة الهاتف الذي عمل بدافع من حسن التقدير على تركيبه لها ، وطلبت رقم محاميها . بدا دهشا إزاء تعليماتها ، ولا عجب في ذلك ، كما قالت لنفسها ساخرة وهي تنهي المكالمة .. على الاقل لم يمض وقت طويل بما يكفي منذ أن اقسمت على الا تبيع بيتها أبدا ، وها هي ذي الآن تغير رأيها طالبة منه أن يكتب رسالة إلى محامي "نيل" يخبره فيها بانها على استعداد لأن تبيع لـ"نيل" المنزل والأرض إذا كان لا يزال راغبا في شرائهما .

رأت "رو" على ضوء ما تعلمه من بطء سير الإجراءات القانونية أن "نيل" لن يعلم بتغييرها قرارها قبل بضعة أيام ، وانهابحلول ذلك الوقت ستكون قد انتقلت بعيدا عنه بصفة دائمة .

والآن وقد اتخذت القرار لابد لها من تدبير أمورها ستكون في حاجة إلى مكان تعيش فيه مؤقتا ...

لحسن الحظ ، أن كانت نهاية الصيف على الأبواب ، وبذلك تستطيع استئجار أحد الأكواخ المخصصة لقضاء العطلات بدون عناء ، ربما ساعدها الوكيل العقاري في الاهتداء إلى الكوخ المناسب ، حتى إذا ما أصبحت في أمان البعد عن تأثير "نيل" عليها تبدأ التخطيط السليم للمستقبل . مستقبل كئيب خاو بدونه . لكن إزاء ما سمعته مما قاله عن خطته للمستقبل ، أصبح واضحا أنه يستحيل عليها مواصلة الحياة في القرية ، تراقبه مع زوجته وأسرته ، مما يزيد إحساسها بالمرارة والوحدة .

سيتاح لها غدا الوقت الكافي لوضع الخطط في صورتها النهائية لأنها مجهدة الآن ، وفي حاجة إلى الراحة ، كما سبق لها أن ادعت . أصاب عضلاتها توتر فنظرت إلى باب الحمام المغلق . حمام ساخن يريحها ، ثم نوم قصير . لوت وجهها ساخرة من نفسها ، وهي تتجه إلى ذلك الباب . هذا كل ما بدا أنها تفعله هذه الأيام ... تأكل وتنام ، ومع كل ذلك ، ومن الغريب أن وزنها لم يزد... كما لم تشعر بأن أية فائدة قد عادت عليها من فترة الاستجمام هذه . بل بدا لها وكان التوتر الذي بداخلها قد تزايد ...وأصبحت زيادته مطردة أيضا .

كانت المياه الدافئة تغمرها وفقاعات الصابون تستر جسدها عندما

فتح الباب البيني المؤدي إلى حجرة النوم الأخرى ، ودخل "نيل" منه ..

بلغ منتصف الحجرة قاصدا الباب المقابل عندما توقف فجاة وتبين انها في حوض الاستحمام .

لم تشعر "رو" بمثل هذا الخجل أو الحرج من قبل . عندما نظر إليها بذلت جهودا تلقائية فاشلة في إخفاء جسدها ، بينما طالبته لاهثة :

- " امض عني !"

ولكنه أجابها بنبرة واجمة :

- " ليس بعد . ليس قبل أن تخبريني بما ترمين إليه على وجه التحديد "..

- " ما أرمي إليه ؟ "

دققت "رو" النظر إليه مضطربة " إنني اغتسل"...

انتقلت نظرته من وجهها إلى جسدها ، واقشعرت لرؤية عظامه الوجنية ، وقد تبدل لونها بلون متوهج مفاجئ . سيطر بعد ذلك على نفسه ،وعاد ينظر إلى عينيها ، بينما اتقدت عيناه غضبا . أجابها بهدوء :

- " ليس هذا ما أعني ، وتعلمين ذلك . اتصل محامي بي هاتفيا الآن"

بدت بشرة "رو" وكانها تتقد بموجة عارمة ساخنة ، بدأت من قدميها مضفية على سائر أجزاء جسدها لونا ورديا متوهجا .

كانت قد عولت على الا يعلم "نيل" بامر قرارها هذا حتى تكون قد ابتعدت عنه بما لا يسمح له بمساءلتها . لانها لو كانت قد علمت عنه شيئا واحدا فهو انه ليس من ذلك النوع من الرجال الذين ياخذون الأمور بمعناها الظاهري ، علمت انه سوف يتحرى ويتعمق حتى يتوصل إلى السبب الحقيقي وراء تغييرها المفاجئ لقرارها ، بحيث تواجه خطر الكشف له عن الحقيقة .

وكان هذا أخر ما تريده .

نظر إليها طويلا حتى تحول تورد لونها إلى اللون القرمزي الزاهي، ورغم توقها إلى أن يمضي لم يكن ذلك بسبب جسدها العاري ، بل بسبب خوفها مما سوف يضطرها إلى أن تبوح به .

سألها بهدوء :

www.elromancia.com

- " لماذا تحولت عن قرارك السابق يا "رو" ؟"

لو انه كان لها من بعد النظر ما جعلها تستعد لهذه المواجهة ! لو انها لم تتسرع في التصرف . لو انها ارجات هذا الاتصال الهاتفي بالمحامي حتى مغادرتها بيته ...

بذلت جهدا مضنيا في سبيل قدر من السيطرة على ذاتها لتقول بهدوء :

- " اعلم ان هذا بيتك يا "نيل" لكن من المؤكد ان لي الحق في بعض الخصوصية ؟ الا يمكن مناقشة هذا الامر فيما بعد عندما اكون قد ارتديت ثيابي ؟"

ثم اضافت ، وقد بدأت ترتجف بحق " : بدا الماء يبرد "

اجابها بنبرة جادة :

- " من الافضل إذن ان تغادري الحوض . اليس كذلك ؟" ثم اضاف قائلا : " لست غبيا تماما يا "رو" لو اني اتحت الفرصة لك فسوف تختفين دون ان تخبريني بما يجري "

نظرت "رو" إليه مليا غير مصدقة ما تسمع . من المؤكد انه لا يتوقع منها مغادرة حوض الاستحمام بينما هو واقف هناك . لكن بدا انه كان متوقعا ذلك . وعندما رأى على وجهها علامات الرفض قال وقد ارتسم الوجوم على وجهه :

- " لا تتحركي "

عندما فتح الباب ودخل حجرة النوم الاخرى راودتها رغبة في ان تغادر حوض الاستحمام وتقفز إلى حجرتها لكنها سرت إزاء مقاومتها تلك الرغبة ، عندما عاد بعد اقل من دقيقتين حاملا "روبا" وبريا ثقيلا ثم قال :

- " هاك . ارتدي هذا "

ناولها إياه ، ثم ادار ظهره إليها . كان الماء قد برد ، فارتعدت وهي تخرج منه . ارتدت "الروب" الذي فاق المقاس المناسب لها بعدة ارقام . كان يفوح برائحة العطر الذي يستعمله "نيل" هذا ما تبينته ليتجاوب جسدها مع رائحة آدمي آخر .

قالت بما يشبه نبرة الاتهام عندما التفت يواجهها :

- " هذا "روبك" . ماذا كان يفعل بتلك الحجرة . حجرتك عند نهاية المنبسط "

- " حقيقة ؟ وما الذي جعلك تعتقدين ذلك ؟"

نظرت "رو" إلى الباب غير المفتوح تماما مترددة .

- " انتقلت إلى حجرة النوم هذه لان "هنا" اخبرتني بان منفذي الديكورات ، ربما بدءوا عملهم بالجناح الرئيسي اولا . وكان هذا للصالح ايضا . ففي الليلة الاولى التي قضيتها هنا عانيت حلما مزعجا ، أصابتك نوبة صياح كادت ان تقيم الموتى "..

جف حلق "رو" وتوتر جسدها باسره . وارتعد السؤال الذي تاقت إلى ان تطرحه فوق شفتيها . دققت النظر إليه ، وقد اتسعت عيناها ياسا والما .

استطرد "نيل" قائلا بنبرة جافة :

- " حاولت ان اوقظك ، ولكنك كنت متأثرة بذلك الحلم - ليس إلى حد بعيد على اي حال بحيث رفضت ان تدعيني أمضي "

- " ادعك تمضي ؟"

جاء صوتها مختنقا وضاق صدرها فضولا:

- " ماذا تعني ؟"

- " اعني فقط انه عندما انحنيت من فوقك لاحاول إيقاظك طوقتني بذراعيك ، وهمست لي بانك ترغبين في ان ابقى . "فاعترضت "رو" قائلة:

- " لا " لم تكن واثقة بموقفها حتى وهي تنفي ما قال . فلم تتذكر من تلك الليلة سوى تلك الصور المتقطعة عن حلم مزعج بالحريق ، تبعته راحة مستمرة من ذراعين حانيتين ضمتاها ..

وقال "نيل" بإصرار :

- " نعم ! نعم ! فتحت عينيك ونظرت إليّ . اخبرتني بانك تريدين ان ابقى . قضيت الليلة كلها بين ذراعي "

اجابته بنبرة جافة :

- " لم اكن واعية بما افعله "

لاحت لها فجاة ضرورة إقناعه بان مسلكها ذلك لم يعن شيئا - لذلك

www.elromancia.com

اضافت بشراسة " وعلى اية حال هذا ليس مهما الآن .. إذا كنت غير راغب في شراء عقاري فلا عليك اكثر من ان تقول لي ذلك الآن يا "نيل" .. لا شك في انه يمكنني ان أجد مشتريا آخر له ".

فاجابها مؤكدا :

- " لا شك في ذلك " .

ثم سالها :

- " ما الداعي إلى التعجل بالبيع يا "رو" ؟"

- " تغير إحساسي الآن نحو الكوخ . بعد ذلك الحريق..."

وهزت كتفيها على نحو غير مفتعل تماما .

فسالها برقة :

- " هل انت واثقة بان ما تهربين منه ليس ذكرياتك عن ذلك الحريق فقط؟"

نبهها شيء ما انطوى عليه اسلوب نظرته إليها إلى الخطر المحدق بها فاجابت بنبرة دفاعية :

- " بالتاكيد . وماذا يكون غير ذلك ؟"

فقال لها :

- " هذا "

والغى المسافة بينهما ليضمها إليه . دافعا يديه إلى داخل كمي "الروب" المتسع جدا يمسد جسدها فيقشعر .. ارتعد جسدها تحت لمساته ، واتسعت عيناها تفضحان خوفها .

- " اعتقد ان سبب رغبتك في الهرب هو خوفك من المشاعر التي أثيرها بداخلك . تهربين لانه ليس باستطاعتك مواجهة واقع رغبتك في..."

ونفت "رو" قوله بشدة :

- " لا " بينما انحنى رأسه اقرب إليها ، حتى أن انفاسه داعبت بشرتها .

قال متمتما فيما بين القبلات التي كان يطبعها على جبينها :

- " لا " ماذا ؟ " لا " لست خائفة ، ام "لا" لا تريدينني ؟ إذا كانت الاخيرة ما تعنين فانت كاذبة يا "رو" وبوسعي ان أؤكد لك ذلك ..."

وقبل ان تمنعه كان قد فتح مقدم "الروب" المستعار ومد يده إلى صدرها ثم قال لها دون ما حاجة إلى الكلمات : كم كان يعلم مدى تاثيره عليها .

وبدلا من ان تقاومه كما تعلم انه واجب عليها قالت بقوة ضارية :

- " نعم . هذا صحيح . اريدك ، واخشى تلك الرغبة . الا تفهم يا "نيل" ؟ الرجل الوحيد الذي مارس الحب معي الحق بي جراحا قاسية . اليس من المفهوم ان اخشى تلك العلاقة؟"

تبينت من نظرة عينيه كم كان سعيدا بان احدا غير "چوليان" لم يمارس الحب معها . جف حلقها وارتعد جسدها بشدة حتى انها كانت واثقة بانها كانت ستهوي إلى الارض ما لم تكن بين ذراعيه .

اجابها بصوت اجش :

- " ليس هناك ما يدعو إلى الخوف يا "رو" . لن اسيء إليك ابدا "

علمت انه سيفعل ... لانه لا يعرف الحقيقة ... لا يعرف انها تحبه . امكنها ان تخفي عنه هذا القدر إن لم يكن شيئا آخر .

صاحت على نحو محموم :

- " لا فائدة من ذلك يا "نيل" من المستحيل ان نكون عاشقين...

فقال .

- " بل نحن عاشقان فعلا . "

اذهلها قوله إلى حد السكون ، حتى ضحك بصوت خافت ، وهو يضيف : " ربما ليس بالمعنى الحرفي. لم اغتنم فرصة نومك تحت تاثير ذلك العقار ، إذا كان هذا ما تفكرين فيه لكنك تعلمين كما أعلم أنا، اننا عاشقان يا "رو" . لم يكن لاية امراة من قبلك القدرة على ان توقظ فيّ الاحاسيس التي تثيرينها باعماقي واشك في ان رجلا غيري قد اثارك قدر استطاعتي ".

وكانت هذه هي الحقيقة المؤلمة . ومع ذلك كان عليها ان تحول دون تماديه بطريقة او باخرى حتى تحمله على ان يتبين ...

وفجاة رات ان ليس امامها سوى سلاح واحد يردعه عن هدفه .

نظرت إليه مليا قائلة :

- " ارغبك جسديا يا "نيل" ..هذا مالا يمكنني ان انكره... لكن الا ترى

www.elromancia.com

ان امتلاكك إياى جسديا ، لن يكون كافيا ابدا ؟ سوف اطلب المزيد. اكثر بكثير مما انت على استعداد لان تعطيه. سوف اطلب منك الحب جنبا إلى جنب مع ممارسة الحب يا "نيل" . ساطلب منك ما هو اكثر من علاقة قصيرة " ...

انتظرت ان يطلقها ان يلتفت بعيدا عنها في حرج وذهول ، أن يخبرها بانها على جانب الصواب ، وانه قد اخطا التقدير ، لكن لدهشتها ظل ينظر إليها ، ثم قال بصوت اجش :

- " قولي ما قلت ثانية !"

هجر اللون وجهه ، وتصلبت عظامه . ابتلع لعابه ، ورات حركة عضلات حلقه متوترة . احكمت يده قبضتها على ذراعها ، وتوقفت اصابعه فجاة عن تلمس جسدها .

قطعت شوطا طويلا يحول دون ان تفتقر الآن إلى الشجاعة . ضربة سريعة واحدة ... فراق فوري الآن سيكون بلا شك اقل إيلاما على المدى الطويل من الانتظار حتى يتبين تدريجيا حقيقة مشاعرها ، ثم يرفضها..

قالت بنبرة حزينة :

- " احبك يا "نيل" . لهذا قررت ان ابيع كوخي ..وانتقل إلى مكان أخر بعيد عن هنا ... "

لشدة دهشتها انه - بدلا من ان يطلقها - قال بصوت اجش :

- " لا اصدق ! إنك اكثر جبنا مما اعتقدت ... كان من الممكن ان اغفر لك عدم إدراكك حقيقة مشاعرك . لكن ان اقف هنا واستمع إليك تقولين إنك تفضلين ان تديري ظهرك إلى ما يشعر به كل منا تجاه الأخر على التنازل عن استقلالك ... لم تقترحي على الاقل ان نصبح عشيقين بعض الوقت انت في كوخك . وانا هنا ... لان هذا ما لا يمكنني استساغته ابدا . ربما اصبت القول - لانني اريدك بالتمام والكمال وإلا فلا اريد منك شيئا على الإطلاق. العهود والزواج والاسرة وكل ما ينطوي عليه ذلك ... ولست على استعداد لمثل هذا الارتباط يا "رو" اليس كذلك ؟ لست على استعداد للتضحية بحريتك واستقلالك . فهما يعنيان لك اكثر مما اعني انا ".

شحب حتى شفتيه مقاوما حدة غضبه في اثناء الحديث . علمت "رو" انه يتعين عليها ان تقف مرتاعة ، ومع ذلك فكل ما استطاعت ان تفعله هو ان وقفت تدقق النظر إليه غير مصدقة . مدت يدا مرتعدة لمسته بها لتقطع هجومه الكلامى وتقول :

- " "نيل" ... لا افهمك . عندما تحدثت عن الزواج وعن الحب ظننتك تحذرني من ان هناك امراة اخرى بلا جدال ... وان كل ما يمكنك ان تشعر به تجاهي هو الرغبة العابرة . واقع الأمر انني ظننت ان لا رغبة لك في بعد الآن ".

- " لا رغبة لي ؟ "

نظر إليها مليا وتبدد التوتر لتحل محله سخرية واجمة من الذات .

" كامراة في مثل هذه السن معلوماتك عن الرجال ضحلة للغاية يا عزيزتي . منذ اللحظة التي دخلت فيها هذه الحجرةظل جسدي يعلن بشدة ووضوح والم تاثيرك عليّ على وجه التحديد ".

اتسعت عينا "رو" دهشة وهي تنظر إليه وتتحقق من صدق قوله فقال بمثل الانين :

- " لماذا تظاهرت بعدم الاهتمام ؟ كدت ان افقد صوابي في محاولات يائسة ، لان اجد اعذارا تطيل بقاءك هنا حتى تتاح لي فرصة إقناعك ، بان ما يمكن ان يكون بيننا يقدر بما يزيد على الاستقلال بكثير . ومع ذلك في كل مرة طرقت الموضوع كانت جميع إجاباتك تؤكد تصميمك على الا تكون بيننا عهود او ارتباطات . لا تعلمين كم كنت موشكا ان انصاع لرغباتي الوضيعة وممارسة الحب معك بغض النظر عن كل ذلك"

فسالته "رو" مرتعدة :

- " ولماذا تراجعت ؟"

أجابها بصراحة :

- " لانني مثلك - انشد ما هو ابعد من الإشباع الجنسي كنت واثقا بقدرتي على ان اجعلك ترغبين في لكن ذلك ليس كافيا . كما انني خشيت ان ترفضي فور ان نصبح عاشقين مجرد التفكير في ان تقبليني عاطفيا "

توقف قليلا ثم استطرد :

- " بقدر ما كانت حاجتي إليك جسديا . بقدر ما كان ارتباطي بك بعلاقة تقوم على الرغبة الجنسية دون غيرها ، ليحقر جميع أحاسيسي لك . لم أومن أبدا بالحب للنظرة الأولى ولا بالحب ذاته في الواقع - لكن عندما فتحت لي باب كوخك ووقفت هناك . ترمقينني بتلك النظرات العدائية شعرت وكأن السماء قد هبطت فوقي ".

سألته "رو" ولا تزال غير مصدقة :

- " علمت عندئذ ؟"

وأجاب مؤكدا :

- " علمت عندئذ . كنت قد انتظرت طويلا أن التقي بالمرأة التي أرغب في أن أقضي معها حياتي . كدت أتمزق لأعلم أنني قد اهتديت إليها ، وأنها لا تبادلني مشاعري ".

وقالت "رو" :

- " بادلتك إياها مع ذلك . ولكنني كنت مذعورة منها ... متهيبة"

وأضاف "نيل" بنبرة جافة :

- " أن ألحق بك جراحا كما فعل "چوليان" ؟

لكن "رو" هزت رأسها :

- " لا . لم أخش ذلك أبدا في الواقع . لست حمقاء تماما يا "نيل" . كانت لـ"چوليان" ميول هدامة غير عادية ، بينما كنت أنا من الأنانية والتدليل ، بحيث لم يمكنني التعرف عليها عندما التقيت به . لا . علمت أنك لن تلحق بي أذى . ليس على نحو متعمد على الأقل . ولكنني كنت متخوفة من أسلوب إحساسي بك ... خائفة من أن أصل إلى مرحلة لا تجلب عليّ سوى الآلام . كما ترى ظننت أن كل ما ترمي إليه هو علاقة غرامية . ظننت أنك ظللت تطرق موضوع استقلالي كي تفصح لي عن أنك لا تريدني على نحو دائم في حياتك

سمعته يئن ثم يضحك . تمتم بصوت رقيق فوق شعرها .

- " عندما أتذكر الأوقات التي أضعناها سدى !"

بدأت يداه تمسدان جسدها من تحت الروب . استطاعت أن تتجاوب معه بعيدا عن مخاوفها بالأسلوب الذي طالما تاقت إلى أن يكون

بوسعها إنتهاجه .

أحسته يرتجف إزاء التصاقها به

قال لها :

- " بطريقة أو بأخرى . كنت أعلم أنك هكذا ... دافئة شغوف ... محبة . ألديك أدنى فكرة عما تفعلينه بي ؟"

- " لا . لكن إذا كان أشبه إلى أي حد بما تفعله أنت بي فارى... "

وكما لو كان يعلم مدى رغبتها ، حملها لا إلى حجرتها بل إلى حجرته واضعا إياها برقة متناهية فوق الفراش الفسيح .

- " أرى أن هذه ليست مرتنا الأولى تماما في ممارسة الحب على اعتبار أنها تتويج لما كان يجب أن يكون عليه الغزل بيننا صباح ذلك اليوم في مطبخ كوخك "

قال متمتما وهو يتحاشى النظر إليها :

- " لقد كان زمنا طويلا جدا . تخليت عن إقامة علاقات عابرة منذ سنوات ، بينما أن أسلوب الحياة التي كنت أعيشها لم يسمح... بأكثر من ذلك "

أدهشها اعترافه وأسعدها . سألته إشباعا لفضولها :

- " وكم يبلغ الزمن الطويل ؟"

أجاب :

- " عامين على الأقل . لذلك كان من الصعوبة عليّ بمكان أن أحتفظ بيدي بعيدتين عنك . هذا عهد بيننا الآن يا "رو" . ولا تحاولي مجرد التفكير في تغيير رأيك . لأني لن أدعك تمضين ".

أنه ثم أضاف بشغف :

- " هل تعلمين أن من الممكن أن تكوني حاملة طفلي بالفعل ؟"

علمت "رو" ذلك ، لكن خلال الثواني الأخيرة فقط . ومن الغريب أنها وجدت متعة في هذه الفكرة .

قالت بنبرة مغوية كاشفة له عن الحب الذي نطقت عيناها به :

- " في هذه الحالة أرى من واجبي أن أجعل منك رجلا شريفا."

ثم أضافت بابتسامة خفية :

- " ومن المحتمل أيضا ألا أكون حاملا..."

www.elromancia.com

سالها بصوت اجش وقد اصاب قراءة رسالة عينيها :

- " هل ترغبين في طفلي ؟"

اتقدت عيناه بما يشبه الجنون في انتظار إجابتها ، وتبينت هي كما لم تفعل من قبل ، كم تعني له فكرة الزوجة والاسرة .

اجابته بصدق وقد هزتها المشاعر فجاة :

- " نعم . نعم ارغب فيه "

مدت يدا مرت باصابعها فوق شفتيه "رغبتي شديدة في أن يكون لنا اطفال يا "نيل" "

- " وعملك ... واستقلالك ... "

- " زاولت العمل ، لاني شعرت بحاجة إلى أن أؤكد لنفسي انني لم اظل بعد تلك الفتاة الانانية المستهترة التي تزوجها "چوليان" ..لم تساورني رغبة في اي وقت كان في أن اصبح صاحبة عمل ناجحة. اردت ان اثبت انني إنسانة بحكم حقي الشخصي فقط ... وقد اثبت ذلك ! ستكون لدي من المشاغل ما يكفي هنا ... إدارة هذا المنزل ومعاونتك . لا اعلم بعد الكثير عن الحاسبات الآلية ، لكن بوسعي دائما ان اتعلم . "

شعرت به بتوتر فتساءلت عما قالت وهي تنظر إليه لتساله في تردد:

- " ما الخطب ؟"

أجابها بصوت أجش :

- " اريدك ثانية . آه يا "رو" ما هذا الذي تفعلينه بي ؟"

اجابته متظاهرة بالجدية :

- " لا أعلم . لكن لك تاثير مماثل عليّ . " التفتت إليه مقتربة منه "مارس معي الحب ثانية يا "نيل" اثبت لي انني لا احلم بكل هذا " .

فقال متمتما فوق شفتيها :

- " لو كان هذا حلما فإننا نحلمه معا . إنني احبك يا "رو" ولن اتوقف ابدا عن ان أؤكد لك ذلك - ابدا "

قالت :

- " اصدقك " وكان واقعا !

«تمت بحمد الله»